روايات أحلام

ليليان كيد

جرح السنين

www.elromancia.com
مرمورية

www.elromancia.com

جرح السنين . ليليان كيد

الانسان عادةً يهرب من ماضيه إذا كان تعيساً ويسدل ستائر النسيان ويحاول أن يعيش حياة جديدة. كارن فعلت العكس، عادت مع خطيبها إلى انكلترا، لتواجه ماضيها، لتقابل أبيها، وتكتشف حقيقة اتهامات أمها له. لكنها لم تكن تحسب في خططها حساباً لروك ميلمان، مالك الأراضي، والشخصية التي لا تقاوم. ابن المرأة التي حطّمت حياة والديها وجعلتها ترحل مع أمها قبل عشر سنوات.

كارن لم تعد مصممة على نبش الماضي. كل ما أصبحت تريده هو الإفلات من بين يدي روك والابتعاد قدر الإمكان قبل أن يفوت الأوان ويكرر الماضي نفسه من جديد...

١ - جرح الماضي

قال تشارلز «أنت تبدين هادئة»، ولكن كارن كانت تنظر الى العاصفة في الخارج، وعيناها الخضراوان كئيبتان، فلم تسمعه. كادا يصلان، وأحست ببرودة قدميها. ربما كان يجب عليها أن تخبر تشارلز بالأمر، ولكن هذا كان سيبدو عدم إخلاص لأمها في حياتها، وأحست بهذا أكثر منذ وفاة والدتها.

ومرر تشارلز يده أمام وجهها: «هاي... هل أنتِ هنا؟» فردت عليه مبتسمة باعتذار «آسفة! كنت أفكر...».

عندما خططا لهذه الرحلة إلى اوروبا قالت بأنها ترغب في زيارة يوركشاير لرؤية والدها، ووافق تشارلز دون سؤال. هكذا كان طبعه، فهو لا يهتم بالماضي. وكان يقول الحاضر هو المهم، وهذا هو بالضبط السبب الذي جعلها تحبه. فقد كانت سهلة وعرضية، فلم يكن يحتضن او يتمسك بالشكوى كما كانت تفعل دائماً. وسألها:

- كم يبعد المكان بعد؟ يبدو أنني سأقود السيارة إلى ما لا نهاية.

- بضعة أميال فقط الآن.

- أنت على حق... ميلين فقط الى هالوز كروس!

وتطلع إلى الإشارة التي ظهرت على الطريق، وقال:

ـ اسم غريب!

ـ انه في الواقع اسم مقتبس!

ـ اسم ماذا؟

ـ القرية في الاصل كانت تدعى «غالوز كروس». . اي مفترق المشانق.

ـ لا! لا بد أنه كان هناك مشانق على مفترق الطرق. . .

ـ أجل، ولكن في العصر الفيكتوري، والناس كرهوا هذه الذكرى فبدّلوا الاسم.

ـ أوه. . لا بد أنه ذلك النوع من الأمكنة إذاً؟

كان كلاهما يتكلم بلكنة أسترالية، مع أن كارن لم تسكن استراليا سوى منذ عشر سنوات، بينما تشارلز ولد هناك. شمس بلاده أعطته لون بشرة ذهبي، ينسجم مع لون شعره الذهبي، كان يقضي ساعات على الشاطىء، يسبح، ويبحر في يخته الصغير، وهذا اعطاه جسماً رياضياً متناسقاً. وتنهدت كارن، استراليا الآن بعيدة جداً. بدأت تشتاق اليها منذ أن غادرتها. كان الربيع قد حل هناك، وهو الفصل المفضّل لديها من السنة. عندما وصلا الى انكلترا استقبلهما الخريف الرطب العاصف، وفي تلال وبراري يوركشاير كانت المدافىء مشتعلة، وأعشاب الوزال صفراء، لون الأشجار انقلب إلى الصدأ والبرونز، وهو لون أقل إشراقاً من الشعر الأحمر الناري المتطاير حول وجهها بفعل الريح الداخلة من نافذة السيارة المفتوحة.

كانت الأرض تحمل الواناً متناقضة: مسافات من الأخضر الرمادي، الغريب، والوديان المشجرة الغامضة، والتلال المستديرة بلطف، تنتشر عليها الخراف التي ترعى ببطء.

لم تكن كارن قد شاهدت الريف منذ الثالثة عشر من عمرها، ومع ذلك كان مألوفاً لديها. واستمرت في التقاط أنفاسها، فقد كان شعور

القلق يزداد قوة كلما اقتربت من موطنها القديم، ولم تستطع أن تجد سبباً واضحاً لشعورها بالقلق. فلم يكن لديها أية فكرة عما ستتوقعه عندما يصلان. وقال تشارلز:

ـ أدفع لك ما تريدين لتخبريني بأفكارك.

ـ إنها لا تستأهل. .

وقال لها بلطف وهو يضع يده على يدها:

ـ أستطيع قراءة وجهك، كما تعلمين! هل تتمنين لو أنك لم تأتي إلى هنا يا كارن؟

وحدقت عيناه الزرقاوان بعينيها الخضراوين. وهزت كتفيها بحدة، دون أن تدهشها دقة ملاحظته. لقد كانا يعرفان بعضهما منذ زمن، وهو يعرفها جيداً. ومال نحوها قائلاً:

ـ لا تقلقي، سيكون كل شيء على ما يرام، استرخي فقط وتقبلي الأمور كيفما أتت.

لقد كانت هذه حكمته في الحياة، ولم تستطع إلا أن تضحك. وضحك بدوره، وفي تلك اللحظة وصلا إلى قمة التل، وكاد أن يصطدم بسيارة آتية من الناحية المقابلة، حدث الأمر فجأة بحيث أنها لم تلاحظ ما جرى تماماً. ولكنها، بغير وضوح، رأت سيارة حمراء تمر بسرعة، والزمور يزعق، والإطارات تصدر صراخاً.

وحدّقت كارن مشدوهة، بالوجه المجفل من وراء عجلة القيادة، وجه قاس، يتطاير فوقه شعر أسود كثيف.

وترنحت السيارة بين يدي تشارلز، فقد أقفل الرجل الآخر الطريق، وكان بإمكانهما تفادي الحادث، لولا أن تشارلز، مذعوراً، فقد السيطرة على السيارة، أو ربما أن الفرامل قد فشلت في إيقافها. ومهما كان السبب، استمرت السيارة باندفاعها، واصطدمت بالجدار الحجري، وعلا صوت تحطم الحديد وانكسار الزجاج.

كانت كارن تربط حزام الأمان، فمالت إلى الأمام والخلف بقوة، واصطدمت أولاً بالباب ثم بالنافذة، وانتشر شعرها الطويل الاحمر على وجهها، فأعماها. ومالت إلى الأمام في مقعدها وهي في حالة ذهول، وخلال لحظة كانت بالكاد واعية، حتى تذكرت تشارلز فاستوت جالسة، ووجهها شاحب. كان مستلقياً ساكناً فوق المقود، والزجاج المحطم ينتشر على شعره، والدم يجري على جانب وجهه. وصرخت بذعر «تشارلز!».

وفكت حزام الأمان من حولها بيدين مرتجفتين، ولكن قبل أن تزحف نحوه، فتح الباب إلى جانبها، وأمسكها أحدهم من خصرها وجرّها إلى خارج السيارة.

وأجفلت، وبدأت تقاوم، وهي تنظر من حولها إلى وجه السائق الآخر المتجهم القاتم، لم تكن قد شاهدته سوى لمحة خاطفة عندما كان يمر إلى جانبهما، ولكن الوجه انغرز في ذهنها. كانت متأكدة أنها لن تنساه أبداً.

ـ لا تهتم بي، فأنا بخير... أخرج تشارلز.. أظن أنه مصاب.

وحاولت أن تدفعه عنها، من دون فائدة، لأنه لم يلحظ هذا، كان أقوى منها. وأخرجها من السيارة، وهي تركل وتحتج، إلى مسافة آمنة.

ـ أنزلني! أستطيع السير. أرجوك أخرج تشارلز...

ووضعها بخشونة على الأرض الصلبة القاسية مما سبب لها خدوشاً في ساقيها ويديها. وصرخت من الألم، ولكنه تجاهلها، وعاد راكضاً إلى السيارة. وراقبته كارن وهو يمسك يد تشارلز من الرسغ. وعلمت أنه يتحسس نبضه، وشعرت بغثيان وتقلص في معدتها. ولم يظهر على وجهه أي تعبير، وبعد لحظة ترك اليد، ولكنه لم يحاول سحب تشارلز من السيارة.

وبدلاً عن ذلك، بدأ يدور حول السيارة متفحصاً المحرك. فصاحت به كارن «لا تهتم بالسيارة! ماذا تفعل بحق الجحيم!» وحاولت الوقوف ورأسها يدور، وكانت غاضبة جداً حتى أن صوتها ارتجف، ونظر إليها الرجل متفحصاً، وأمرها قائلاً:

ـ اجلسي مكانك قبل أن تقعي!

وقالت وهي متوترة من الغضب «لماذا لا تخرج تشارلز؟».

وقال ببرود «إنه مغمى عليه. من الخطر تحريكه إلى أن نعرف مدى خطورة إصابته».

ـ ولكن من الخطورة تركه في السيارة! ماذا لو انفجرت؟

ـ ليس هناك رائحة وقود. ماذا تظنين أنني كنت أفعل؟ لقد كنت أتفحص خزان الوقود، ولم يتضرر، والمحرك يبدو على ما يرام. ولا أرى أي تسرب للوقود، ولا أظن...

ـ فلتذهب السيارة إلى الجحيم! ماذا عن تشارلز؟

والتمعت عيناها الخضراوان في وجهها الشاحب الأبيض، وضاقت عيناه وهو يراقبها، ولكن صوته بقي هادئاً.

ـ يبدو أن نبضه منتظم...

ـ ولكنه فاقد الوعي! وأظن أننا يجب أن نأخذه إلى المستشفى بأسرع وقت ممكن... يجب أن نصل إلى هاتف! توقف عن إضاعة الوقت الثمين، واذهب إلى أقرب كشك للهاتف؟

ـ لقد اتصلت بالمستشفى المحلي، وسيارة الإسعاف ستصل في أية دقيقة.

ـ اتصلت بالمستشفى؟... ولكن كيف؟

ـ لديّ هاتف في سيارتي.

ـ أوه.. أوه أجل.. بالطبع..

وتنهدت بارتياح:

www.elromancia.com

ـ والآن.. هل تسمحين بأن تجلسي وتهدأي.!

واستدار ليتفحص تشارلز ثانية.

كانت تشعر بالدوار، فأطاعته وجلست، وجسدها كله متراخٍ وبارد من الصدمة، وأخذت تنظر إليه بكراهية. كان يملك طريقة متعالية بالحديث، ويعطي الأوامر وكان له الحق بتنفيذ القانون على الجميع! وكرهت كل شيء فيه، ومع ذلك لم تستطع سوى الشعور بأنها قد رأته من قبل في مكان ما، أو أنها سمعت صوته من قبل.

ربما يعيش في هذه النواحي؟ وربما التقت به في أي وقت خلال طفولتها، ولكن ليس بشكل متواصل وإلا لكانت تذكرته تماماً. فقد كانت تذكر العديد من الأشخاص المحليين. أو ربما هي تتذكر صوتاً يشبه صوته؟ هل كان وجهه مألوفاً لها؟ وجالت عيناها به: إنه طويل، ساقاه طويلتان، خصره نحيل، شعره أسود، أنفه طويل فمه قاس ومنضبط. لم يكن وسيماً، ولكنه كثير الثقة بنفسه.

هذه الفكرة جعلتها تعبس ثانية، ولكن ما إن بدأت تلاحق ذكرياتها حتى سمعت تشارلز يتحرك. ونظرت إليه بسرعة، كانت يده تتحرك ورفعها إلى رأسه، وكأنه يتألم، ثم تأوه بضعف. وسأله الرجل «كيف تشعر؟» وانحنى فوقه، واجبرت كارن نفسها على الوقوف. قد يقلقه أن يفتح عينيه بعد غيابه عن الوعي ليرى غريباً ينظر إليه. وقد يتساءل عما حدث! وهمس قائلاً «ماذا حدث؟».

ـ لقد حصل لك حادث، ولكن لا تقلق، فلم تصب بإصابة خطيرة.

ـ أوه... أتذكر الآن... كارن.. اين كارن؟

ـ أنا هنا.

وقطعت المسافة بسرعة نحو السيارة وهي ترتجف، ولكن دايفد كان قد أغلق عينيه ثانية عندما وصلت إليه. وبينما هي تنظر إليه

سمعت صوت سيارة الإسعاف. وترنحت وتصلب جسدها فجأة، وأسرع الرجل الأسمر لوضع ذراعه حولها، ممسكاً بها قبل أن تقع.

ـ لقد قلت لك أن لا تتحركي!

ونظرت إليه بكراهية «من الجيد أن تعرف أنك دائماً على حق!» فابتسم قليلاً وقال «هل أنت عدوانية دائماً؟ ام أن هذه هي الطريقة التي تتغلبين بها على الصدمات؟».

وتوقفت سيارة الإسعاف في مكان قريب، وهرع رجال الإسعاف نحوهما. أحدهم ذهب فوراً إلى تشارلز، واقترب الآخر من كارن والرجل، الذي قال بهدوء «مرحباً فيل» وهز رجل الإسعاف رأسه دون أن تبدو عليه الدهشة، وابتسم بطريقة ودية.

ـ لقد قالوا لنا إنك أنت الذي اتصلت يا روك! لقد شاهدنا سيارتك، يبدو أنها سليمة.. ماذا حدث؟

ـ لقد قاد الرجل سيارته عند نهاية التل في منتصف الطريق، وتفادينا بعضنا وأستطعت أن أوقف سيارتي بسهولة، ولكن عندما عدت إلى الطريق سمعت صوت الاصطدام. وتراجعت لأرى ما حدث، واتصلت بالطوارىء، وأسرعت لمساعدتهم.

ـ أنت «سوبرمان».

قالت كارن هذا بمرارة، ونظر إليها، وضحك سائق الإسعاف ولكن الآخر لم يضحك. بل قال «لقد كانت معه في السيارة.. الأفضل أن تفحصها يا فيل.. تبدو مصدومة جداً».

وبعد لحظات أصبحت كارن داخل سيارة الإسعاف ممددة على حمالة ومغطاة ببطانية، ولم تلاحظ كم كانت بردانة وكم كان جسدها يرتعش، حتى شعرت بالدفء. وحملا تشارلز إلى سيارة الإسعاف، واستندت على كوعها لتراه، ولكن عيناه كانت مغمضتان، وعضت كارن على شفتها بقلق، ما هي خطورة إصابته؟ فقد بدأ الرجلان

www.elromancia.com

يضعان له كيس دم، مما يدل على أنه قد فقد الكثير. الإصابة الوحيدة التي استطاعت أن تراها كانت في رأسه، ولكنها الآن شاهدت دماً على قميصه، وكاد قلبها يتوقف. وسألت أحد الرجلين «هل إصابته خطيرة؟».

وردا بلطف «لا» ولكنها لم تصدقهما. وأقفل الباب، وبقي أحد الرجلين إلى جانب تشارلز. ولم تعرف ماذا كان يعمل لتشارلز لأن ظهره كان يخفي تشارلز عنها، وشعرت بالخوف وانهمرت الدموع بصمت على وجهها.

ماذا لو مات؟ ماذا تستطيع أن تقول لأمه وأبيه، اللذان كانا دوماً لطيفين معها، وخاصة منذ وفاة أمها؟ لقد أتت بتشارلز إلى أوروبا! وأقنعته بالمجيء إلى يوركشاير، بينما كان سيشعر بالسعادة أكثر في لندن أو في باريس، كما خططا أن يفعلا في الأسبوع المقبل. لم يكن تشارلز ليأتي الى هنا لولاها، وستفهم إذا لامتها عائلته على هذا الحادث! فقد لامت هي نفسها.

عندما وصلوا المستشفى، نقلا إلى قسم الطوارىء لفترة ما، وتفحصها طبيب بسرعة، كان يبدو راضياً عن حالتها، ولكنه لم يرد على أسئلتها عن تشارلز، وبعد حوالي نصف ساعة حملت إلى القسم النسائي، ووضعت في سرير.

وقالت للممرضة التي كانت ترعاها «اسمعي.. إلى أين اخذوا تشارلز، صديقي... الرجل الذي أتوا به معي..؟ أريد أن أعرف ما به.. أريد رؤيته».

ـ لقد نقلوه إلى غرفة العناية الفائقة.

وأخذت كارن نفساً عميقاً، وعيناها مذعورتان. ولاحظت الممرضة تعبير القلق على وجهها فابتسمت لها مواسية «لا تقلقي، إنه بين أياد أمينة، ولا أعتقد أن إصابته خطرة أبداً. إنهم يجرون له عملية تقطيب

للجرح فقط. بعد ساعتين سيأتون به إلى القسم المجاور، إلى قسم الرجال، وعندما تستطيعين الوقوف، بإمكانك رؤية حالته بنفسك!».

ـ بعد كم من الوقت؟

وبدت الفتاة مرتبكة «آسفة؟».

ـ بعد كم من الوقت أستطيع الوقوف.

وقالت الممرضة بتردد «حسناً، ليس من شأني أن أقول هذا إنه عائد للدكتور ميلسون، ولكن ليس لمدة طويلة، كما أتصور».

ـ ولكنني لست مصابة. بعض الخدوش فقط..

ـ لا أعرف.. أنا أعمل هنا فقط. انظري.. لديك زائر، هل يستطيع الدخول الآن؟

ـ زائر؟

واحمر وجه كارن فجأة.. وضايقها هذا الانفعال. لا بد أنه ذلك الرجل، طبعاً! في انشغالها بالتفكير بدخولها إلى المستشفى نسيته، وتمنت لو تستطيع الاستمرار في نسيانه. لماذا أتى؟ لقد كان متمالكاً لأعصابه ومفيداً، ويجب عليها أن تكون شاكرة له، ولكن شيئاً ما أثارها من جديد.

ـ حسناً.. هل أسمح له بالدخول؟

ـ لا بأس.

وغادرت الممرضة الغرفة، واستلقت كارن على الوسائد وهي تراقب الباب. لماذا عليه ان يأتي؟ لقد علم أنها غير مصابة، ولا يمكن أن يشعر بالمسؤولية عن الحادث، وأوضح ذلك من تعليقاته على قيادة تشارلز. وهو بالتأكيد لم يفكر بأنها تريد زيارته! لا بد أنه لاحظ حبها لتشارلز، حتى ولو لم يلاحظ خاتم الخطوبة.

ربما يكون هذا بدافع المجاملة واللطف! وقطّبت كارن وجهها: إنها غير شاكرة له.. لكن يجب عليها أن تشكره لا أن تستاء منه.

www.elromancia.com

فهي مدينة له.. وهذا ما يذكّرها! يجب أن تقوم باتصال بأقرب وقت، وستطلب من زائرها تدبير الأمر. لقد نسيت حتى الآن، ولكنها وتشارلز كان من المتوقع وصولهما.. وإذا لم يصلا...

وقفزت أعصابها عندما فتح الباب، ولم يكن الرجل الأسمر الذي دخل. بل كان رجلاً أكبر سناً، ومن طراز مختلف تماماً. فشعره الكثيف الاحمر قد تحول إلى فضي، وكان لكتفيه العريضين انحناءة لم تكن تتذكرها، عرفته على الفور، على الرغم من مرور عشر سنوات منذ أن التقت به آخر مرة.

ـ كارن..

ووقف قرب سريرها، وهو ينظر إليها غير مصدق. وبعث صوته الرعدة في اعصابها، صوته على الأقل لم يتغير، وهي تعرف صوته أينما كان.

ـ مرحباً يا أبي..

ومدت له يدها بغباء، وكأنها تتوقع أن يصافحها. وضحك بخشونة وأخذ يدها بين يديه، وجلس على السرير وانحنى نحوها وقبلها. وهو يردّد «كارن! كارن» وشكت في أنه يبكي «أنت تبدين كبيرة جداً».

ـ لقد كبرت.

وحاولت أن تضحك، ولكنها بقيت متحفظة، لم تكن تعرف ابداً كيف ستشعر عندما تلتقي به، مشاعرها تجاه أبيها كانت مشوشة: مزيج من الغضب والألم، الحب والذنب، معقدة أكثر من أن تكون قابلة للحل. حتى أنها لم تكن أكيدة إذا كانت حكيمة بقرارها القدوم إلى هنا، أم كان عليها ان تتركه مع الماضي ومع كل ذكريات الطفولة التعيسة. كانت واثقة فقط أنها تريد القدوم إلى اوروبا لمجرد الزيارة، لقضاء عطلة، قد تساعدها على نسيان حزنها لوفاة أمها، ولكنها شعرت بالحنين إلى أرض طفولتها، لهذه السنوات السعيدة عندما كان

كل شيء آمناً لا يمكن أن يتغير. وقال لها جورج كارداس، والدها:

ـ أسفت لسماع خبر وفاة أمك. كان صعباً عليّ التصديق انها ماتت.

ـ من الصعب عليّ أيضاً التصديق.

ـ لا بد أنها كانت صدمة لك، وكان عليك تدبير كل شيء بنفسك! كان يجب ان تبرقي لي، كنت سأحضر فوراً.

ـ كان حولي العديد من الاصدقاء لمساعدتي.. ووالدتي...

وتوقف صوتها، بعد أن ادركت أنها لن تستطيع إنهاء الجملة، ولا حاجة لإنهائها، يجب ان يكون يعرف أن والدتها لم تكن تريده أن يحضر جنازتها.

وأجفل، وكأنها ضربته، وشعرت بالذنب ثانية. لم تكن تعرف شيئاً عن حياته في هذه الايام، ما عدا أنه لم يتزوج تلك المرأة التي دمّرت زواجه. ولكن والدتها تزوجت ثانية، وكان زوجها غاري برات رجلاً عظيماً. فقد أحبته كارن، وكانت والدتها سعيدة، ولكنها أخفت مرارتها وحزنها حتى النهاية.

وقال لها جورج «لقد كتبت لك، ولكنك لم تردي عليّ أبداً. أوه.. لا ألومك يا كارن، ولكنني تساءلت.. هل كانت تسمح لك برؤية رسائلي».

ـ في بعض الأحيان.

ولكن الحقيقة أن والدتها كانت تخفي الرسائل عنها. ولم تترك لها مجالاً لأن ترد. كانت تدرك أن أمها كانت تستخدمها كسلاح ضد والدها. ولكن لم يكن هناك ما تستطيع فعله. فوالدتها كانت تبدأ بالبكاء إذا ذكرته أمامها، وهكذا تركت ذكراه تتلاشى بالتدريج. ثم، بعد وفاة والدتها، وجدت كل هذه الرسائل المنسية، مخبأة في أحد الجوارير، وتحيرت بين رغبتها برؤية والدها ثانية، وبين تخوفها من

الأمر. وناقشت نفسها: لماذا نبش الماضي؟ ولكنها مع ذلك أتت.

وقال والدها فجأة، «لم أتعرف على كتابتك حتى!». ونظرت اليه متفحصة، هل شعر بنفس المشاعر المشوشة عندما تلقى رسالتها التي تقول فيها إنها قادمة؟ أم أنه ايضاً ليس متأكداً بعد من حقيقة مشاعره؟ فابتسمت له وقالت:

ـ حسناً.. لقد مضى زمن طويل. وهذه ليست الطريقة التي خططت لألتقيك بها!

وضحك بارتياح: «أفضل الخطط تفشل! ربما هذه الحادثة نعمة متنكرة. لقد كنت أشعر بالعصبية، منتظراً قدومك إلى المنزل، أصغي لأسمع صوت السيارة. لقد صُدمت عندما سمعت بنبأ الحادثة!».

ـ أنا آسفة. من المؤسف أن شخصاً أفسد لنا اللقاء. كان من الأفضل أن أبلغك بالحادثة بنفسي، بهذه الطريقة لم تكن لتشعر بالصدمة. على الاقل ستعرف أنني بخير! عندما وصلت إلى هنا، كنت أفكر بأنني يجب أن أتصل بك وأطمئنك.

عندما وصلنا إلى هنا سألتني الممرضة عن أقرب اقربائي هنا، فأعطيتها اسمك وعنوانك. اعتقد أنهم هم من أبلغوك؟

وتردد ثم قال «لا.. لم يكن المستشفى» وفاجأها الجواب.

ـ إذاً كيف سمعت الخبر؟ ولماذا أنت متردد لتخبرني؟

ـ إنه روك.

وأدار عينيه بعيداً عنها، وتذكرت بألم ذلك التعبير على وجهه عندما كان يتشاجر مع والدتها بمرارة. حتى عندما كانت طفلة، كانت تعرف أن والدها يفعل أي شيء ليتجنب الخصام.

هذه النظرة ظهرت على وجهه الآن، وأصبح مراوغاً يحاول تغيير الموضوع حتى يهرب من الغرفة إذا استطاع. لم يكن رجلاً عدوانياً أو نشيطاً. لقد كان لطيفاً، وأحبت رقته، ولكنه كان عنيداً ايضاً مع

استحالة معالجة هذا الضعف فيه. كان يكره الجدال والتوتر، ولكنه لا يستسلم، وخاصة فيما يتعلق بالمزرعة. قبل ان تقرر والدتها أن هناك امرأة أخرى في حياته، كانت مشاحناتهما تبدأ بسبب المزرعة، والحياة التي تجبرهما على العيش فيها، والوحدة والفراغ في تلك الاراضي التي كان يعيش ويعمل فيها بسعادة، والتي كانت والدتها تكرهها. كانت والدتها دائمة الشكوى، كانت من ذلك النوع من النساء النكد، المرتاب، والغيور.

ولكن لماذا يبدو هكذا الآن؟ روك؟ من هو روك بحق السماء؟ ثم تذكرت، واتسعت عيناها. ألم يكن هذا ما نادى به سائق سيارة الإسعاف ذلك الرجل الأسمر؟ روك؟ أهو الرجل الذي كاد تشارلز ان يصطدم به؟ وحدقت بوالدها، «هل تعرفه؟» وهز رأسه بالإيجاب. وأدهشها الأمر في البداية، ولكن المجتمع هنا صغير، الجميع فيه يعرف الجميع. وتذكرت الماضي، وكل الإشاعات التي كانت تتسبب بالمشاكل بين والديها، وسألها «كيف حال تشارلز؟ إنه خطيبك، أليس كذلك؟».

ـ أجل، لقد أخبرتك عنه في رسالتي، إننا في جولة حول أوروبا، قبل أن نتزوج ونستقر. الممرضات يقلن إنه سيتحسن، ولكنك تعرف المستشفيات. هل تستطيع ان تعرف لي الحقيقة؟ قد يكونون صريحين معك.

وقال والدها بلطف «سأبذل جهدي» وأمسك بيدها بقبضة ثابتة، وأسبلت جفنيها، وعضت على شفتها. وساد صمت للحظات، لم يقطعه سوى تكتكات الساعة على الحائط، صوت متمهل رتيب.

ورفعت كارن رأسها، وقد تذكرت شيئاً، وسألته:

ـ ولكن كيف عرف من أنا؟

ـ ماذا؟

ـ ذلك الرجل.. روك، كيف عرف من أكون؟ لا أذكر أنني قلت له اسمي او أنني آتية لزيارتك.

ـ لقد عرفك.

ـ وكيف عرفني ولم نلتقِ من قبل؟

ولم يرد عليها والدها، بل أبقى رأسه منخفضاً، وأخذت تفكر بجهد هل التقينا من قبل؟ لا أتذكر هذا؟.

ومع ذلك كان يتملكها شعور غريب بأنه مألوف لديها، ألم تلاحظ ذلك منذ البداية؟ وحيّرها ذلك وأقلقها؟ وأحسّت وجهها يحمر بالتدرج، وهي تعترف لنفسها بما كانت تفكر به. حسناً على الأقل إنها مخطئة بتفكيرها هكذا عنه.

وذكّرها والدها قائلاً «لقد أرسلتي لي صورة لك مع الرسالة، ووضعتها على طاولتي حيث رآها روك».

وشعرت بالدهشة إضافة إلى خيبة الأمل.

ـ أوه.. فهمت..

إذاً هذا هو الأمر بكل بساطة، لا شيء غامض أو مريب. ولكن لماذا كان والدها غير مرتاح ومتردد للتحدث بالموضوع؟ وقال لها جورج:

ـ هل تذكرين مكتبي، في المزرعة؟ هل تتذكرين المزرعة، لا بد أن كل شيء يبدو لك مبهماً بعد عشر سنوات.

ـ ليس كل شيء أتذكر الكثير. مع أن ذاكرتي ضعيفة، هكذا كانت عادة، أليس كذلك؟ أتذكر غرفة نومي والأرجوحة تحت شجرة التفاح، ومخزن العلف، والاسطبلات... الأمكنة التي أحبها، اتمنى أن لا يستبقوني هنا لفترة طويلة!

ـ لقد تحدثت مع الطبيب قبل أن أدخل إليك، سيسمحون لك بالمغادرة غداً إلى البيت.

وفكرت بالبيت، وهي تعض شفتها. للكلمة رنة مؤثرة، كان يستخدمها دوماً، ولكنها لا تستطيع تقبلها الآن بهذه الطريقة، فالمزرعة لم تعد بيتها، لم تعد كذلك منذ سنوات كثيرة.

وسألته «هل تغيرت كثيراً؟» وهز رأسه وضحك:

ـ لن أقول إنها لم تتغير أبداً.

وبدا ان الفكرة تسعده، وشعرت كارن بالرضى. فقد كانت سعيدة لسماعها أن الأمكنة والأشياء التي تتذكرها لم تتغير كثيراً، ولكن ألا يجب أن تتغير خلال عشر سنوات؟ كل شيء يتغير، فلماذا لم تتغير المزرعة؟

ـ ألا زلت تربي الخراف؟

ـ الأرض غير صالحة لتربية أي شيء آخر. فتربتها جدباء وليس هناك ما يكفي من عشب للأبقار، وتربية الخراف ناجحة عند التلال ليست واسعة كثيراً كما في اوستراليا.

أعتقد أنك لم تشاهدي كثيراً من مزارع الخراف هناك؟

ـ أنا أعمل في مكتب في سيدني. ما رأيته من الاراضي كان عندما ذهبت في نزهة مدرسية، وزرت صديقة كان والدها مزارعاً.

ـ الزراعة موضوع ممل كما أعتقد.

ـ ولكنها تهمني كثيراً.

وتهلل وجهه «صحيح؟ هل حقاً تهتمين بها؟ ألست تقولين هذا فقط لتجامليني؟».

ـ بالطبع لا.. ولماذا لا أكون مهتمة بالزراعة؟ أخبرني عن القطيع الذي عندك... كم خروفاً لديك؟

لم يكن جورج كارادس يحتاج لدعوة ثانية للحديث، واستلقت كارن على الوسائد تستمع إليه، وهي تراقب والدها وتتذكر آخر مرة كانا معاً فيها. لقد تغير كثيراً، ومع ذلك فها هي تتذكر أكثر فأكثر الأب

www.elromancia.com

الذي عرفته عندما كانت طفلة، لقد كانا يومها مقربين جداً من بعضهما، كانت تحب والديها معاً، وكانت صدمة قاسية عليها عندما تركت والدتها المنزل وأخذتها معها، على الرغم من أنهما كان دائمي الشجار، إلا أن كارن لم تكن تتوقع انفصالهما الى الأبد.

لقد ألقت امها باللوم على أبيها، لم تكن تخفي أي سر عن ابنتها، كانت تريدها أن تعرف لماذا غادرت المنزل. وتحدثت دون نهاية وبمرارة حول انهيار زواجها. وكانت كارن في اوائل مراهقتها، خرقاء خجولة غير واثقة من نفسها. والسنوات التالية كانت يائسة بالنسبة لها. كان عليها أن تعتاد على مدرسة جديدة، وأصدقاء جدد، وبلد جديد، ومنزل جديد وأم ليس لديها شخص آخر سواها تتعلق به، وبحاجة إلى عطف دائم وتشعر بالرغبة في السيطرة عليها.

كارن كانت متألمة وغاضبة أيضاً، ليس لأن والدها فضّل امرأة أخرى على والدتها، ولكن لأنه لم يحاول أن يمنع أمها من أخذها معها. ثم التقت والدتها - [illegible] برجل آخر، وتغيرت حياتهما من جديد، للأفضل هذه المرة، كارن أحبت زوج أمها كثيراً، فقد كان رجلاً طيباً، وأراحها كثيراً بعد أن أخذ حمل والدتها عن كتفيها، وترك الحرية لكارن لتعيش حياتها الخاصة، كانت قد استقرت في مدرستها، وتعرفت على اصدقاء، واكتشفت حرية الشمس والبحر، ودفعت كل تفكير بانكلترا ووالدها إلى زاوية بعيدة من ذاكرتها، إلى أن حدث تصادم السيارة الذي أودى بحياة هاري، زوج أمها، وحياة والدتها.

ودخلت الممرضة وقالت:

ـ ألا زلت هنا سيد كارداس؟ قلت لك عشر دقائق فقط، وانت هنا منذ نصف ساعة أو أكثر! هيا اذهب الآن! تستطيع ان تأتي غداً وتأخذ ابنتك عند العاشرة صباحاً.

ووقف جورج، وسألها «وكيف حال خطيبها؟».

ـ إنه بخير... والآن هيا سيد كارداس.

والتفت الى ابنته «هل أحضر لك شيئاً يا كارن؟» فهزت رأسها بالنفي وابتسمت له فقال لها وهو يغادر «سأراك غداً».

ولكن في الصباح التالي لم يكن والدها الذي أتى عند العاشرة ليأخذها. وكانت كارن قد استيقظت وارتدت ملابسها، وانتظرت عند النافذة، وهي تنظر إلى المراعي التي تعبث فيها الريح خلف المستشفى. ورأت سيارة حمراء تتقدم ثم تتوقف، وتصلبت مرتابة. وتحرك الرأس الاسود من السيارة عبر ممر المدخل، وتبعته عيناها، هل حضر إلى هنا ليراها؟ أم أنه يزور المستشفى صدفة اليوم؟

وبعد لحظات دخل الى القسم وسمعت صوت التعجب من المرضى الأخرين، وحدّق الجميع به متهامسين.

وقال لها، وهو يلتقط حقيبتها عن السرير:

ـ لقد اتيت لآخذك.. لقد انشغل والدك بامر اضطراري، بعض نعاجه هرب نحو الطريق الرئيسي ويجب أن يجمعها قبل أن تدهسها سيارة، وبما أنني كنت قادماً إلى البلد، فقد عرضت عليه أن آتي بك.

وابتسمت له ابتسامة خفيفة وقالت «شكراً لك» ها هو يبدي لطفه ثانية، وعليها أن تكون شاكرة له. ولكن لماذا يتحدث إليها هكذا دائماً بصوت متكبر؟ لقد أتيت لأخذك! وكأنها بضاعة، وطوال الوقت هاتين العينان السوداوان تجولان بها بطريقة عابرة، وتجعلانها غير مرتاحة وغاضبة معاً.

ـ أنا مستعجل!

وبدأ بالسير، واضطرت أن تركض وراءه كي تحاذيه. وفي الممر التقيا بمسؤولة القسم، التي قالت برشاقة:

ـ أذاهبة الآن آنسة كارداس؟ أتوقع أن أراك عندما تزورين خطيبك.

ـ هل أستطيع رؤيته الآن؟

ـ إنه نائم.. ولا نريد إزعاجه، هل تريدين إزعاجه؟

ـ لا بالطبع.. متى أستطيع زيارته؟

ـ سنتركه يرتاح اليوم، لا زال متأثراً بالمخدر. تعالي غداً بعد الظهر. مواعيد الزيارة من الثالثة إلى الرابعة.

واتجهت عيناها الفاتحتين نحو الرجل الذي يحمل حقيبة كارن، وابتسمت له احدى الابتسامات النادرة منها.

ـ صباح الخير، سيد ميلمان.. سعيدة برؤيتك.

وهز لها رأسه «مرحباً أيتها الاخت وود».

وجمدت كارن في مكانها، واتسعت عيناها الخضراوان وقد صُدمت، ميلمان؟ إنه ميلمان؟ روك.. روك ميلمان بالطبع تتذكره، لقد كانت تراه دوماً. إنه من عالم يختلف عن عالمها، ولكنه كان يأتي إلى أرض أبيها أيام الصيد. لقد تذكرته جيداً، لقد كان فاتناً بشعره الأسود وهاتين العينين السوداوين، وفي معطفه الأحمر، وبنطلونه الجلدي وحذاءه الاسود الجلدي الذي يصل الى ركبته. كانت كارن تتفرج على الصيد من نافذة غرفتها، ولكنها لم تخرج أبداً معهم. كان عندها حصان صغير «برونو» مثل معظم أولاد المزارعين في هذا الجزء من العالم. كان بليداً، صبوراً ولطيفاً، ولكن أمها لم تكن تسمح لها بالخروج إلى الصيد، على كل كانت كارن موزعة المشاعر، فهي تحب الثعالب، وتكره وحشية الصيد، ومع ذلك فقد كان الصيادون بجيادهم العالية النحيلة، لهم بريق خاص، وخاصة روك ميلمان، الذي كان فارساً بارعاً، ويقود عادة عملية الصيد في الغابات وعبر الحقول، يمتطي جواده وكأنه جزء منه، بكبرياء ورشاقة، ودون اكتراث.

معظم الأراضي في الوادي ملك لعائلة ميلمان، ويملكون عدة مزارع إضافة إلى مزرعة يزرعونها بأنفسهم. وعاشوا في قصر ميلمان منذ أيام الحروب النابوليونية. عندما اشترى الجنود العائدون من الحرب عدة مساحات من الارض، وبنوا لأنفسهم بيتاً قوياً أنيقاً، وغرسوا غابة من حوله. وبدأوا سلالة جديدة.

كان والدها واحداً من مستأجري الأراضي عندهم. وكان قد ولد في المزرعة التي استأجرها والده يومها، وأحب المكان، والدتها كانت من لندن، وكرهت عائلة ميلمان، وما أسمته طريقة العيش الاقطاعية في الوادي. بعد زواجها من جورج كارداس حاولت أن تجعله يغادر المزرعة، والسفر إلى استراليا حيث كان أخوها، ولكنه لم يستمع لها. في البداية صدّقته عندما قال إنه لا يستطيع ترك يوركشاير بكل بساطة، ولكن تدريجياً توصلت للاعتقاد أن لديه أسباب أخرى للبقاء في الوادي، بين عائلة ميلمان.

لقد كانت والدة روك ميلمان، بيتي المرأة الاخرى التي دمرّت ذلك الزواج، وجعلت مارغريت كارداس وابنتها كارن تسافران الى استراليا...

* * *

٢ ـ ماذا ينقص الحنين؟

كانت كارن مستغرقة بأفكارها، حتى أنها بالكاد انتبهت وهي تغادر المستشفى، وتركب السيارة، وتبتعد.
كان روك ميلمان، بارع بالقيادة، واعترفت كارن بذلك، ولو على مضض. ولم يبدُ أنه يلقي بالاً لها، جانب وجهه حاد الأطراف، عيناه ثابتتان إلى الأمام. كان يرتدي ثياباً عادية. بنطلون أزرق جينز، قميص أزرق، وسترة من جلد الغنم. ما زال يبدو قاسياً وساحراً. ولم يكن هذا بسبب جو السلطة من حوله، بل أن الرجل فيه يفرض نفسه بطريقة ما.

وكرهت تصرفاته، وثقته بنفسه، وطريقته بالكلام، وطريقة نظره إليها. ولكنها اعترفت لنفسها أنه شخص لا يمكن عدم الاهتمام به أبداً. ملامحه كانت رجولية، جميلة المظهر وملفتة للنظر. كان لديها ذكرى غامضة أنه يشبه أباه بقسماته، حسبما كانت تتذكر والده جوزيف ميلمان، ولكن، بلون البشرة كان يشبه والدته.
واستطاعت الآن أن تتذكر تيري ميلمان، بعد أن أغمضت عينيها،

وتمثلت أمامها صورة المرأة الأنيقة الجميلة التي طاردتها في طفولتها. هل ما زالت حية؟ هل ما زالت تملك ذلك الشعر الأسود الناعم، والعينين اللامعتين، والبشرة الزهرية الناعمة التي لا عيب فيها؟

وسألها روك فجأة: «لماذا عدت؟» وفتحت عينيها عندما سمعت صوته: «كي أرى والدي!».

- بعد عشر سنوات من الصمت، تذكرتيه فجأة؟

- لا أريد بحث حياتي الخاصة معك سيد ميلمان!

- أنا واثق أنك لا ترغبين بهذا... ولكن سيتوجب عليك ذلك.. آنسة كارداس.

- أوه.. لا.. لن أفعل!.. أنت لا تعرف شيئاً عني...

- أعرف أن والدك كتب لك لسنوات ولم تردي عليه! آه.. أنا واثق أنه لن يعاتبك، فهو سعيد جداً بعودتك ولن يقول شيئاً. ولن يتركك تهربين منه ثانية!

- هذا ليس من شأنك!

- سأجعله من شأني.

وكان صوته خشناً ومثيراً، ولكن كارن لم تكن تنوي التراجع، مهما حاول أن يكون جافاً. فانفجرت قائلة «انظر الآن!». ولكنه قاطعها بصوت أعلى:

- أنا أحب أبيك ومعجب به وأعلم كم ألمه هذا، كل هذه السنوات، أن يكون لديه ابنة في الجانب الآخر من العالم لا ترسل له حتى بطاقة ميلاد!

- لا تصرخ بي! الأمور لم تكن بالسهولة التي تبدو فيها لغريب، وهذا ما أنت عليه سيد ميلمان.. إنك غريب! أنت لا تعرف سوى جزء من القصة، الجزء المتعلق بوالدي. وأنا مستعدة أن أراهن انك لا تعرف جيداً حتى هذا الجزء. وأعتقد أنك انما تخمن ما يشعر به

فقط. فأنت لا تعرف شيئاً عما كان يجري في ذهني، أو عن حياتي خلال العشر سنوات الماضية. وانت لا تعرف عما تتحدث، لذا، وحتى تعرف شيئاً عني، أرجوك.. توقف عن التدخل سيد ميلمان!.

وخفف سرعة السيارة، ونظر إليها بوجه قاس. ثم أسرع ثانية، وركز انتباهه على السيارات الآتية من الناحية الأخرى، ولم يقل شيئاً لفترة، ثم قال ببرود:

- قد تنظرين إليّ كغريب، ولكنني أشك في أن هذه وجهة نظر أبيك. لقد عرفته طوال حياتي، أتذكرين هذا؟ إنه ليس مستأجراً عندنا فقط، إنه صديق قديم للعائلة.

واحمرّ لون وجهها. هل يشير إلى تلك العلاقة الطويلة بين والدها ووالدته؟ أم أنه غافل عن الحقيقة؟ لقد سألت والدتها عما تشعر به عائلة ميلمان، فضحكت بمرارة. فهم من الغباء بحيث أنهم لم يلاحظوا ما يجري تحت أنوفهم، ولكن أيمكن هذا فعلاً؟ وسألته «هل أمـ.. والداك لا يزالان على قيد الحياة؟».

ونظرت اليه جانبياً، ورموشها تغطي عينيها الخضراوين. وجهه لم يتغير، ولم تلاحظ أي ضيق أو قلق على ملامحه. لو أنه كان يعرف لظهر عليه ذلك بطريقة ما. واجابها:

- والدتي لا تزال على قيد الحياة، ولكن والدي مات منذ أربع سنوات.

إذاً امه أرملة منذ أربع سنوات؟ وعبست كارن. إذاً لم تتزوج السيدة ميلمان أبيها بعد أن أصبحت حرة؟ هل انتهت علاقتهما؟ وفكرت كارن، بمظهر أبيها كما بدا أمس: أبيض الشعر وكثيب قليلاً، وبدأ يظهر عليه الكبر، كان لا يزال رجلاً جذاباً منذ عشر سنوات، وكان من السهل التصديق أن السيدة ميلمان أحبته. ولكنه الآن أصبح في أواسط عمره وجاوز الخمسين بكثير. فهل اشتعلت مشاعرهما تجاه

www.elromancia.com

بعضهما مع الزمن ام أنها انطفأت؟

بالطبع، لن تستطيع سؤال روك ميلمان لقد قالت له لتوها أن ينتظر إلى أن يعرف المزيد عنها قبل أن يستنتج شيئاً، ونفس النصيحة تنطبق عليها. فلو أن والدها والسيدة ميلمان لا زالا مرتبطين عاطفياً، فلن يفوتها الأمر عندما تراهما معاً. فالناس لا يستطيعون إخفاء مشاعرهم، لكن إذا كانت عائلة ميلمان لم تلاحظ اي شيء خلال تلك السنوات، فربما يكون العشاق بارعين بلعبة التخفي!.

كل هذه الأمور نظرية الآن! فوالدتها ماتت، ولن يهمها ما إذا كانت **شكوكها** صحيحة أم لا.

وزمّت شفتيها، فالأمر يهمها مع ذلك! وتريد أن تعرف، من أجل والدتها. تريد أن تعرف ما إذا كانت تتخيل هذه الأمور كل هذه السنوات، أن شكوكها كانت تعميها، أو أنها كانت أذكى من غيرها. لقد حان الوقت لتعرف الحقيقة، وهي مدينة لأمها كي تعرف، إذا استطاعت.

وقال لها روك ميلمان «ها هي المزرعة» ونظرت إلى فوق، وتذكرت فوراً أين يقع المنزل على جانب التلة التي كانا يصعدانها. وقالت بخفة «إنها لم تتغير» وأجابها روك راضياً:

ـ الأشياء هنا لا تتغير.

ولسبب ما، جعلها قوله تضحك، ونظر إليها، بعينان ضيقتان:

ـ وما المضحك في هذا؟

ـ لا أعرف... لا شيء كما أعتقد! لقد بدوت فقط وكأنك مسرور بالأمر!

ـ ولماذا لا أكون مسروراً؟

ولم تجب كارن للحظات، وتجولت عيناها في الأراضي والتلال والسماء، وأشجار الخريف، والوادي الذي بدأ الضباب يغزوه. ثم

التفتت إلى روك، وقالت معترفة «في الواقع أنا مسرورة أيضاً، لقد كنت خائفة أن لا أتعرف على شيء، أن يكون كل شيء قد تغير، كنت أتمنى بشدة أن أرى كل شيء كما أتذكره».

ونظر اليها وعيناه قلقتان «أوه.. لا أتمنى لك هذا، فما تتذكرينه قد لا يكون ما تعرفينه حقاً. فالمرء يميل إلى النظر بمثالية إلى ما تركه خلفه».

ونظرت ثانية إلى معالم المنزل، وما يحيط به، لقد كان لهذا الريف جماله الخاص، جمال تجاوب معه قلبها. فهنا فتحت عينيها لأول مرة، ورأت الجمال الذي لا يقدر أن يراه أي غريب. وقالت مبتسمة:

ـ اوه.. لا أظن أنني أنظر إلى شيء بمثالية.

فابتسم روك ميلمان ابتسامة عفوية مليئة بالدفء والسحر. وقال:

ـ أهلاً بك في بيتك إذاً.

وشعرت بخفقة غريبة في قلبها. كان قد وصلا قمة التلة، واوقف روك السيارة فجأة إلى جانب الطريق، والتفت إليها وهو يبتسم، وذراعه ممدودة على ظهر المقعد. وأجفلت كارن، وبدا القلق على وجهها. هل سيحاول التودد إليها؟ وهل يعتقد أن ابتسامة واحدة منه تكفي؟

ـ لماذا توقفت؟

ـ وماذا تعتقدين؟

هكذا إذاً، لقد تأكدت الآن أنها لا تتخيل، لا لهجة صوته الناعمة، ولا ابتسامته الصغيرة الساخرة.

ـ هل لك أن تحرك هذه السيارة ثانية.. أرجوك؟

ومدت يدها إلى مقبض الباب استعداداً للخروج فيما لو اقترب منها أكثر. وأجابها «اوه.. ليس بعد!» ومد يده بسهولة نحوها، ولكن بدلاً

www.elromancia.com

من لمس وجهها، أرجع شعرها الأحمر عن جانب وجهها، كي يراها أكثر.

ـ ابق يديك بعيدتان عني!

ـ لا حاجة بك أن تثوري. فلم أتوقف هنا لأغتصبك، لذا توقفي عن التنفس بصعوبة والارتجاف!

ـ انا لا أتنفس بصعوبة ولا أرتجف!

ـ ألست كذلك؟ إذاً فأنت تقلّدين المرأة وهي مرعوبة، ولست ادري لماذا. لقد توقفت هنا كي تشاهدي المنظر!

ـ المنظر؟ من تعتقد أنك تخدع؟ لست حديثة الولادة.

ـ لا؟ لقد بدأت أعتقد أن هذا هو التفسير الوحيد!

ـ ألست مضحكاً؟

ـ آنسة كارداس.. لقد بدأت أشعر أنك لا تحبيني.

ـ وما الذي يجعلك تعتقد هذا؟

ـ اخرجي من السيارة!

وتوترت أعصابها من الطريقة التي قالها بها. ومال نحوها وهو ينهي كلامه، ولمس جسده جسدها قليلاً، ولكن لم يكن هناك أي إثارة لهذه اللمسة، وكانت عيناه تقدحان بالعداء عندما نظرت اليهما وفتح الباب وكادت أن تقع. ونزلت، ومن دون ثبات سارت نحو الجدار الحجري، ووضعت يديها على الحجارة الخشنة، لم تستطع أن تلاحظ المناظر من حولها، بل كانت تفكر بغضب بما حدث.

وخرج من السيارة، وتقدم إلى خلفها قائلاً:

ـ لو نظرت فوق الجدار، تستطيعين أن ترى الوادي بكامله من طرف إلى طرف. إنه منظر أفضل مما ستشاهدينه من مزرعة والدك، وأعتقد أنه قد يساعدك على استعادة قدراتك، وذاكرتك قليلاً.

وحدقت إلى الوادي البعيد، وهو يمتد ما بين التلال المستديرة.

واستطاعت رؤية البلدة الصغيرة ذات المنازل بسقوف خشبية، والمستشفى الواقع في ضواحيها، والطريق الرئيسية والسيارات تتحرك عليها وكأنها لعب صغيرة. وقرية هالوس كروس عند قدمي التلة.. وقالت له:

ـ لست بحاجة لاستعادة ذاكرتي، لم أنس شيئاً.

ـ ما عداي؟

وشعرت برجفة خفيفة غريبة تجري في عروقها، وكانت سعيدة لأن ظهرها اليه، لأنها لم تكن واثقة مما قد يقرأ في وجهها.

ـ لم أكن أعرفك.. في الواقع.

ـ ألم تكوني تعرفيني؟

وعادت إليها تلك الرعدة الباردة. ماذا يعني بقوله؟

ـ لا أذكر أننا تصافحنا كثيراً!

ـ ومع ذلك تعانقنا!

ولكنها عندما استدارت، وعيناها متسعتان وغير مصدقتان، كان يسير عائداً إلى السيارة، وهو يقول من فوق كتفه:

ـ من الأفضل أن نكمل طريقنا قبل أن يرسل والدك فرقة تفتيش!

وعادت كارن إلى السيارة، وصفقت الباب وراءها كي تريح أعصابها. من الواضح أن هذا كلام هراء. لم يتعانقا أبداً، وحق السماء، لقد كانت في الثالثة عشر عندما غادرت هنا، وروك كان.. بكم يكبرها؟ عشر سنوات؟ لا بل على الأكثر اثني عشر. ولا بد أنه الآن في الخامسة والثلاثين.

ونسيت أفكارها بينما كان روك يخفف سرعة السيارة ليستدير ويدخل ما بين دفتي بوابة مزرعة «هاي هالوز»، جدار حجري يمتد على جانبي الطريق، يخفي المنزل عن الأنظار.

وتابع روك سيره عبر الطريق الضيق ما بين حافتي شجيرات الغار والورود التي تنمو بين الأشجار، وأغصانها تئن وتتلاطم بفعل الريح. كان المنزل يبرز ويختفي بين الأشجار: منزل قديم، مربع البنيان، أحجاره رمادية، سقفه من ألواح الخشب، وبابه الأمامي من خشب السنديان، وله مدلاة حديدية تستخدم للدق عليه.

وتوقف روك، ونزلت كارن من السيارة، وهي تنظر إلى البيت، وتتذكر. وظهر والدها من وراء البيت، وهو يرتدي ثياباً موحلة، وقبعة كبيرة على رأسه. وسألها عندما انضم اليها:

ـ هل تغير كثيراً؟

ـ لم يتغير أبداً.

وقال روك وهو جالس في سيارته:

ـ أنا مستعجل يا جورج.. أراك فيما بعد.

ـ انتظر يا روك.. كارلا هنا!

ـ ماذا؟

وانحنى جورج كارداس فوق السيارة قائلاً:

ـ روك.. لا تكن قاسياً عليها هكذا. إنها لا تزال صغيرة، وتجد صعوبة في التكيّف..

ـ لن تصبح الأمور أسهل إذا استمرت بالهرب! ولماذا تأتي إليك؟

واستدارت كارن، وسارت نحو الباب، غير راغبة في الاستماع إلى نقاش خاص بينهما، وبينما هي تسير رأت فتاة تقف عند العتبة، ترتدي الجينز وتي شيرت، بشكل بسيط جداً، جمالها جعل كارن تقف وتحدق. هل هذه هي الفتاة التي يتكلم عنها والدها؟ لا يمكن ان يكون عمرها أكثر من العشرين. ولكن بنيتها كانت كاملة، بحيث أن كارن اعتقدت أنها لو بلغت الستين فستبقى جميلة.

ونظر روك إلى الفتاة، وأمسكها وجرها نحو السيارة:

ـ إذاً ها أنت هنا!

ـ لا تدفعني هكذا يا روك! لقد اكتفيت من هذه المعاملة، ولا أستطيع تحمل المزيد!

ـ اصمتي!

ودفعها إلى داخل السيارة رغم مقاومتها. وصعد بدوره وفي لحظات ابتعدا. وتنهد جورج قائلاً:

ـ آه يا عزيزتي.. لم أتدبر الأمر جيداً، أليس كذلك؟ لقد وعدت كارلا أن أحاول إقناعه بوجهة نظرها، ولكن لم تسنح لي الفرصة. فروك صعب المراس.

ـ إنه صعب المراس فعلاً.

وشعرت بالصدمة لتصرفه مع تلك الفتاة. هل هي صديقته؟ لا يمكن أن تكون زوجته، أيمكن أن تكون؟ لم تكن تتصور لسبب ما، أن يكون روك متزوجاً. إنه لا يتصرف كرجل متزوج! ولكن الرجال المتزوجون يمكن لهم أن يعبثوا، اليس كذلك؟ وقال جورج:

ـ بامكانه أن يكون رائعاً لو أراد! هل هناك من خطأ يا كارن؟ هل أزعجك روك؟ لم يعد غاضباً من الحادث، أليس كذلك؟ ولكنه لا يستطيع أن يلومك، فخطيبك من كان يقود السيارة! أنا آسف لأنني لم أستطع إحضارك بنفسي.

ـ أعلم ذلك، لقد شرح لي الأمر، لقد هرب بعض الخراف... لقد فهمت الأمر.. كنت سأتصرف نفس الشيء لو كنت مكانك.

ـ وهل كنت ستفعلين؟

ـ أعرف أنني ابنة أمي... ولكنني ابنتك ايضاً... أبي لا تنسى هذا!..

وابتسمت له بحنان، فلف ذراعه حولها وضمها إليه:

www.elromancia.com

ـ لن أنسى! الآن، تعالي وشاهدي غرفتك، لقد أعدتك إلى غرفتك القديمة، أتساءل اذا كنت تتذكرينها؟

ـ طبعاً أتذكرها، أتذكر كل شيء.

وتبعته إلى الردهة، كانت أرضها لامعة حمراء، بمدفأة كبيرة تتذكر أنها كانت تختبىء فيها. وتقدم والدها إلى الأمام. يحمل حقيبتها وصعد الدرج إلى الطابق الأول. وأخذت تتذكر شيئاً آخر...

كم مرة كانت مستلقية في فراشها تستمع إلى صوت خطوات أبيها على الدرج؟ المزارعون عادة ينامون باكراً ويصحون باكراً، وهذا شيء كانت تكرهه والدتها.

ووضع جورج حقيبتها أرضاً، ووقفت عند مدخل الغرفة، تنظر إلى السقف المعتم، والسرير النظيف الصغير، بمفرشه الساتان الزهري، وكومة من الوسائد البيضاء، وارضيّته الخشبية الملمعة والتي تغطيها السجادات المصنوعة في البيت، والستائر برسمات الورود، تعرّفت على كل شيء، حتى ترتيب طاولة الزينة كان كما هو. وقالت بتعجب:

ـ لم يتغير شيء!

وابتسم والدها، ثم تغير وجهه، وبدت بعض الكآبة في بسمته:

ـ أخشى ان يكون الكثير قد تغير.. أنت مثلاً، لقد كبرت، ولم تعودي طفلتي الصغيرة... وأمك...

وانقطع صوته، واستدار لينظر من النافذة وظهره لها. وبعد لحظات قال:

ـ أنا سعيد جداً لعودتك يا كارن. ولا أتمنى الضرر لخطيبك، أنا واثق أنني سأحبه، ولكنني غير آسف لكونك بمفردك معي لفترة، بدل أن يشاركني فيك.

ولم ينتظر ردها، فاستدار وسار نحو الباب قبل أن تستطيع فهم

كلماته، وتابع:

ـ خذي وقتك للتعود على المكان ثانية، وإذا احتجت إليّ سأكون في مكتبي...

ومضى النهار بهدوء، وأخرجت كارن ثيابها من الحقيبة واستقرت في غرفتها القديمة، ثم نزلت إلى الأسفل، وأخذت تتجول في المنزل والحديقة، تعيد زيارة أماكن طفولتها وتشعر بغرابتها، ومع ذلك بالسعادة الهادئة.

ووجدها والدها تجلس على الأرجوحة تحت شجرة التفاح وإلى جانبها كلب راعي، وراقبها قليلاً ثم ابتسم وقال:

ـ لقد اتيت لأقول لك إن العشاء جاهز.

ـ هل طبخته بنفسك؟ كنت أنوي مساعدتك.

ـ كان عليّ أن أحضّر الطعام لنفسي على كل الأحوال. وتحضيره لاثنين ليس صعباً. في الواقع لقد سرني هذا، لأن تناول الطعام وحدي أضجرني.

وتساءلت وهي تتبعه إلى البيت، ما إذا كان قد شعر فعلاً بالوحدة خلال تلك السنوات، لماذا لم تكتب له؟ وهل هو غاضب منها لهذا؟ ولكن لا يبدو عليه لا الغضب ولا العتب.

في اليوم التالي اتصلت بالمستشفى فأبلغوها أن زيارة تشارلز ما زالت ممنوعة. وأمضت بقية يومها مع أبيها، تتجول معه في المزرعة، والأراضي الجبلية، وما يحيطها من الريف، واخبرها عن الخراف التي يملكها، وراقبت الديوك وهي تصيح والغربان والصقور، تطير دائرة حول القطيع.

في طريق عودتهما قال لها والدها:

ـ ستتعشى الليلة في قصر ميلمان؟ أم أنك تفضّلين عدم الخروج الليلة؟

ـ هذا عائد لك يا أبي.

ونظر إليها والدها متردداً بعبوس. هل كان يتساءل عما تعرفه؟ فهو لم يذكر كلمة عن سبب افتراقه عن والدتها. هل يعتقد أنها لا تعلم شيئاً عنه وعن السيدة ميلمان؟ وقال:

ـ حسناً لنرى اولاً كيف تشعرين.. فلقد خرجتِ بالأمس فقط من المستشفى.

ـ النوم باكراً سيكون أفضل لي، وأرجو فقط أن لا يسبب لك طبخي عسر هضم.

ـ لا تخدعيني يا كارن، فوالدتك كانت طباخة ماهرة، وأنا واثق أنها علّمتك!

ـ لقد علّمتني. .

كان غريباً منه أن يذكر والدتها دوماً، دون وخز ضمير، كأنها صديقة قديمة لم يرها منذ سنوات. هل يفكر بها دوماً؟ هل اشتاق إليها عندما تركته؟ وهل أحبها؟ وبدا لها والداها كسر غامض. وتنهدت، لم تكن واثقة من حقيقة شعورها حول أي شيء. ونظر والدها الى ساعته «لقد تأخرت.. يجب أن أسرع، لماذا لا تنامين لساعة أو لساعتين، وعندما أنهي عملي، نستطيع تحضير العشاء معاً».

ـ حسناً يا أبي.. سنحضره معاً، سيكون هذا مسليا أكثر.

وذهب والسعادة بادية على وجهه، ودخلت إلى المنزل، وألقت نظرة على البراد، وأخرجت منه ما سيحضرانه للعشاء، ثم صعدت إلى غرفتها واستلقت في الفراش، لتستريح نصف ساعة فقط، ولكنها ما لبثت أن استغرقت في النوم فوراً.

واستيقظت عندما سمعت الباب يفتح، ورفعت رأسها وهي نصف نائمة وقبل أن ترى أحداً، كان الباب قد أغلق من جديد. وجلست وهي تتثاءب.

ـ أبي؟

ولم يجبها أحد، ولكنها أحست بوجود شخص في الخارج، ونادت ثانية «أبي؟.. هل هذا أنت؟» ولم تتلق رداً. فذُعرت، وخاصة أن صوت الأقدام قد عاد من جديد، شخص ما يتحرك بحذر محاولاً عدم إصدار صوت. وأحست بفراغ المنزل يضغط على أعصابها بثقل، إذا لم يكن والدها، فمن هو، ولماذا لا يجيب؟.

وانزلت قدميها عن السرير ووقفت، وقد اقشعر جلدها من الخوف. وسارت على أطراف أصابعها نحو الباب، وفتحته بسرعة. كان الدرج معتماً، فقد حلّ المساء، وعتمة الخريف بدأت تهبط بسرعة. ولمحت ظلاً أسوداً في منتصف الدرج. ظل رجل بدأ يتطاول إلى أن لمس السقف وكأنه منظر من فيلم رعب.

وجمدت كارن، وتطلعت إلى الأسفل، وقلبها يخفق بسرعة.

* * *

٣ ـ أقسى مما يجب

وأدار رأسه ونظر إليها، وعرفته فوراً، وزال عنها الخوف. ولكنها لم تشعر بالارتياح، فبعد الخوف حل الغضب فصرخت به «ماذا كنت تفعل متسللاً في المنزل هكذا؟».

واستدار روك ميلمان وعاد ليصعد الدرج.

ـ لم أكن أتسلل! كنت أتحرك بهدوء حتى لا أوقظك.

ـ كم هذا مراعاة منك لمشاعر الآخرين. ولكن للأسف لقد فعلت، وتسللت إلى غرفتي.. أليس كذلك؟ وبما أننا في نفس الموضوع، عن ماذا كنت تبحث في غرفة نومي؟

ـ لم أكن أبحث عنك على كل الأحوال، لذا لا حاجة بك لهذا الخوف!

وشعرت بالغضب أكثر. مع أنها في البداية كانت غاضبة من نفسها لأنها شعرت بالرعب. ولكنها لن تدع روك يسخر منها لهذه الخيالات.

ـ أنت في الواقع معجب بنفسك، أليس كذلك.

ـ أنا؟ معجب بنفسي؟ أستطيع القول إن الأمر على العكس. فهذه ثاني مرة تتهميني بأنني أحاول التقرب منك. حسناً! أنا لم اكن أحاول التقرب منك لا في المرة الأولى ولا الآن! من الواضح أنك تظنين نفسك جذابة لا يستطيع أحد مقاومتك. ولكن دعيني أخبرك شيئاً، بالنسبة لي هذا أمر غير صحيح. فأنا أستطيع مقاومتك دون عناء.

وكشرت كارن عن اسنانها، وهي تموت شوقاً لتضربه على وجهه.

ـ ألاحظ أنك لم تقل لي بعد ماذا كنت تفعل في غرفتي.

ـ كنت أبحث عن والدك.

ـ تبحث عنه في غرفة نومي؟

ـ لقد ناديته من الردهة، ولم يجبني أحد، ثم وجدت الكلبة ميغ نائمة عند الباب، واعتقدت أن والدك هناك، لذا ألقيت نظرة في الغرفة، ورأيتك في الفراش نائمة. فغادرت بهدوء قدر ما استطعت.

ـ لم أكن اعلم أنه يوجد كلبة هنا، لا بد أن والدي تركها لتحرسني.

ـ إنها كلبة حراسة ممتازة!

وراقبها وهي تمرر يدها فوق شعر الكلبة الأسود والأبيض وتطلعت ميغ إليها متسائلة، وأذناها واقفتان بحذر، وكأنها تنتظر أوامر، وخاطبتها كارن «فتاة طيبة» وربتت عليها ثم عبست:

ـ ولماذا لم تنبح عندما وصلت؟ أليس من المفروض أن تفعل هذا؟

ـ إنها تعرفني جيداً، وتعرف أنني دوماً هنا، ولكن لو طلبت منها مهاجمتي ستفعل.

ـ وهل تفعل؟ هل هي مدربة على الهجوم؟

ـ لا ولكنها مدربة على الطاعة، وسيدها تركها لتدافع عنك. لذا لو أنها شعرت بأنك بحاجة للدفاع ضدي، فستهاجمني.

ـ لا تغريني لأفعل هذا!

وتنهدت وابتسمت نصف ابتسامة، وحدق بها.

ـ أعتقد أن هذا آخر شيء قد يخطر ببالي.

ـ حسناً، هذا يريحني، لا تدعني أؤخرك! ستجد والدي يعمل.. لا أعلم أين. خذ ميغ معك وستدلك عليه.

فهز رأسه وقال «لن تأتي معي!».

ـ أوه.. هي ايضاً لا تحبك؟ كلبة لديها ذوق، وهذا واضح!

ـ لن تتركك حتى يقول لها والدك. إنها كلب رجل واحد.

ـ كلبة لو سمحت..

ـ أوه.. أنت ظاهرة عجيبة.

في تلك اللحظة سمعا صوت باب يصفق في المطبخ، وقالت كارن بسرعة وارتياح «إنه والدي!».

واستدار روك على عقبيه واختفى في الاسفل، وعادت كارن إلى غرفتها ووقفت قرب النافذة تراقب الظلام يحلّ. بعد قليل شاهدت روك ووالدها يخرجان من البيت، ووقفا يتحدثان عند الممر الخارجي قرب سيارة روك الحمراء. قد تكون عمياء لو لم تلاحظ العاطفة بينهما، والثقة المتبادلة والصداقة. والدها يحب روك ميلمان حتى ولو لم تحبه هي، ولكن والدها رجل مختلف، وهو يحكم على روك بمقاييس مختلفة.

وذهب روك، واستدارت كارن ذاهبة إلى الحمام ووجدت والدها في المطبخ، والغلاية تصفر فوق النار، والفناجين موضوعة على الطاولة، والتفت اليها وابتسم «هل نمت جيداً؟ مؤسف أن روك ايقظك».

ـ لا يهم.. كنت قد نمت لوقت كاف.

وصب الماء المغلي في إبريق الشاي وغطاه قائلاً:

ـ لقد استعدت لونك على كل حال.

ـ شكراً لك لتركك ميغ تحرسني.

وجلست إلى الطاولة، وانضم اليها جورج.

ـ ميغ كلبة حراسة جيدة، في الخارج والداخل.

وقدم لها طبقاً من البسكوت صنع في البيت.

ـ تذوقي هذه.. إنها لذيذة. لقد صنعتها كاترين كلين. انها تعمل هنا ثلاثة أيام في الأسبوع. ستلتقين بها غداً.

وذاقت واحدة منها وراقبها والدها «إنها لذيذة جداً» واخذت واحدة ثانية، وضحك راضياً. ثم قال لها وهي تصب الشاي:

ـ و... بخصوص العشاء عند آل ميلمان...

وكانت عيناه متوسلتان، وتضايقت كارن، لأجل ذكرى أمها. ألا يستطيع إمضاء أمسية واحدة بعيداً عن بيتي ميلمان؟ أم أنه يأمل أن تصبح وإياها صديقتان؟ مهما كانت الحقيقة، شيء واحد كان واضحاً، والدها يريد يائساً ان يتعشى في قصر ميلمان هذه الأمسية.

ـ ألهذا أتى روك الى هنا؟ هل أرسلته أمه ليتأكد من قدومنا؟

ونظر جورج إليها ثم أبعد نظره:

ـ لا لقد قدم إلى هنا لأسباب تتعلق بالأملاك. يجب أن نصلح السور قبل موسم التوالد. إنه يحضّر الترتيبات وسوف يساعدنا في العمل. كل سنة تنهار بعض الجدران بسبب الثلج والمطر. هذا عدا تأثير الخراف! إنه عمل لا ينتهي.

ـ إذاً هو لم يسأل إذا كنا ذاهبين للعشاء؟

ـ لقد ذكر هذا، ووعدته أن أبلغهم. وأخرّت الموضوع إلى أن استفقت.

ونظر إليها نظرة متوسلة أخرى، وكتمت كارن تنهيدة. كيف تستطيع

أن ترفض وهو ينظر إليها هكذا؟

ـ حسناً، إذا كنت تريد الذهاب.

وتهلل وجه والدها وقال بلهفة:

ـ وهل ستأتين معي؟ أنا اكيد أنك ستكونين سعيدة. كارن إنه منزل جميل، هل تذكرينه؟

ـ أوه.. أجل.

وأسرع والدها إلى الهاتف، دون أن يلاحظ نبرة صوتها الجافة وقال بسعادة:

ـ سنسر لقدومنا، يجب أن أتصل بها، لقد تصيد روك طيور الحجل. وبيتي ترغب في معرفة كم ستحضر منها. هل تحبين الحجل؟

ـ لا أتذكر أنني أكلت منها. ولكنها مثل البط والسمن، لذا قد أحبها. فالطيور كلها متشابهة أليس كذلك؟

ـ ليس بالضبط، ولكنني متأكد أنك أكلت الحجل وأنت طفلة. هناك الكثير من طيور الصيد في الأملاك، وكنت معتاداً على جلبها إلى المنزل، ولا أذكر انك لم تحبي أي نوع منها.

واستمعت إلى والدها وهو يتحدث: «بيتي؟ أنا جورج. نحن قادمان! اجل.. لقد أخبرني روك. كارن تحب الحجل».

كان صوته دافئاً، حميماً وعادياً، كان يتحدث إلى بيتي ميلمان كرجل يتحدث لزوجته، وفكرت كارن ثانية.. لو أنهما يحبان بعضهما، فلماذا لم يتزوجا؟ ولم يكن هناك فائدة من هذا التفكير، فصعدت إلى غرفتها لتعيد النظر فيما سترتدي. لم تكن قد جلبت معها ثياباً أنيقة، لديها فقط ثوب واحد خاص، ثوب أخضر بلون الجاد، رائع التفصيل، مصنوع من صوف ميرينو الحريري صممه أحد

المصممين الاستراليين الشبان. وقررت أن ترتديه، ووضعت قرطاً ذهبياً صغيراً وسلسلة يد ذهبية رائعة تناسبه، وعقداً ذهبياً كان زوج أمها قد اهداه لها في عيد ميلادها الواحد والعشرين، واختارت حذاء اسود وجوارب سوداء، ثم وضعت الجميع على سريرها ودخلت إلى الحمام، فلن تكون متوترة الأعصاب لمواجهة آل ميلمان لو أنها كانت تبدو في أحسن حال.

وبمرور الوقت، شعرت بتزايد التوتر ونظر إليها والدها بقلق وهما يتجهان بالسيارة نحو قصر ميلمان.

ـ أنا واثق أنك ستسرين هناك ـ إنهم مضيافون كثيراً.

ـ أنا بخير... لا تقلق يا أبي.

بعد خمس دقائق وصلا إلى خارج واجهة القصر الرائعة، واضاءت أنوار السيارة المنزل القديم، وشهقت كارن عندما شاهدت أشكالا سوداء تطير من تحت السقف.

ـ أبي! ما هذا بحق السماء...؟

وضحك جورج كارداس «إنها خفافيش، غير مؤذية أبداً!». وبرز روك ميلمان من الظلام. كان يرتدي سترة عشاء سوداء وبدا مخيفاً أمام الجدران المعتمة. فتمتمت:

ـ لا بد أن هذا الكونت دراكولا!..

فضحك والدها «مسكين يا روك، أنت تظلمينه، ولكن عليّ أن اعترف أنه يبدو هكذا قليلاً».

ونزل روك السلم العريض، وانحنى لكارن قائلاً:

ـ اهلاً بك في منزلنا.

وفتح لها الباب. ونزلت من السيارة وهي ترتجف من التوتر. فتطلع إليها «إن الطقس بارد هذه الليلة، تعالي إلى الداخل بسرعة، المنزل أكثر دفئاً الآن بعد أن وضعنا فيه تدفئة مركزية. لقد كان فارغاً ومخيفاً

مثل مخزن الغلال عندما كنت صغيراً. ولكنه مريح أكثر بكثير الآن».

وقال والدها:

ـ هذا مضحك أن تشبّهه بمخزن الغلال. لقد فزعت كارن عندما شاهدت الخفافيش تطير من تحت السقف، هل كنت تعلم أن هناك خفافيش يا روك؟

ـ أجل.. بالطبع. إنها هناك منذ سنوات، إنها غير مؤذية.. إذاً لقد فزعت؟

ـ بالطبع لا.. ولكنني أجفلت فقط.

وظهر شخص آخر عند الباب. وتعرفت كارن على السيدة ميلمان، على الفور، رغم أن شعرها الأسود قد اصبح فضياً. وجسدها الملفوف قد أصبح اكثر استدارة بتقدم العمر. وبدا وجهها وكأنه من دون تجاعيد، وجمالها أخاذ كما كان دوماً. وبينما كانت كارن تتفحصها، تقدّم منها جورج، فمدت له يدها «جورج!» فقال بحرارة:

ـ تبدين ساحرة هذه الليلة يا بيتي!

وأمسك بيدها وهو يحدق بها. وتصلّبت أعصاب كارن، وهي تنظر اليهما، لم يتحدثا كصديقين قديمين، بل بأكثر من ذلك بكثير. لقد كانت تشعر بأنها ستعرف عندما تشاهدهما معاً إذا كان يحبان بعضهما، وها هي قد عرفت. أمها لم تكن مجنونة أو غيورة، بل كانت على حق طوال الوقت. وقال لها روك ببرود «ألن تدخلي؟» ونظرت إليه ببرود أيضاً، لقد كان يراقبها بعدائية، فرفعت جفونها وأعادت إليه نفس النظرة العدائية.

ـ أعتقد هذا.

ـ وما بك بحق الجحيم؟ هل ستكونين نكدة هكذا طوال السهرة؟ لماذا جئت إذا كنت بمزاج سيء؟

ـ أنا لست بمزاج سيء. ولا أعرف ماذا تعني.. أي مزاج؟ لم

www.elromancia.com

تقابلني سوى من يومين، فماذا تعرف عن مزاجي؟ على كل ليس عندي أمزجة سيئة. فأنا شخص عادي الطباع عادة. ولو كنت نكدة عندما تكون أنت موجوداً، فذلك بسببك.

فضحك بقوة وقال «أعرف أي نوع من النساء أنت، لن تكون الغلطة غلطتي أبداً» فردت عليه من بين أسنانها «لا تشتمني».

- وهل تسمّين هذه شتيمة؟

- ولا تسخر!...

- بحق السماء!

- ولا تتكلم معي بوقاحة أيضاً..

وشعرت بالرضى عندما لاحظت أن غضبه قد تصاعد. وأمسك ذراعها بغضب وهزها وانفجر قائلاً «اسمعي الآن!» ولم يستطع أن يقول ما يريدها أن تسمعه! وحاولت كارن أن تبدو هادئة، ولكنها بالطبع كانت تشعر بالغضب مثله تماماً، ولو كانت أسبابها مختلفة. في أعماق نفسها كانت تعرف أنها دفعته لأن يكون غاضباً، ولم تكن تعرف لماذا، ولكن غضباً شديداً كان يتملكها، أو انها أحبت أن تتشاجر، ولم يكن أمامها في كلتا الحالتين سوى روك، وتطلعت وراءه نحو الباب آملة أن ينقذها أحد وصرخت:

- ارفع يديك عني!

ولكن والدها وبيتي ميلمان كانا قد اختفيا. ونظر روك بدوره إلى الوراء، واستغلت كارن الفرصة لتفلت نفسها من قبضته وأسرعت نحو الباب، ولحق بها على بعد خطوات من الباب، وواجهها من الأمام وبدأت تقول «لا تجرؤ...» ولكنه قاطعها:

- هلا توقفت عن إصدار الأوامر لي؟ لا أحب النساء اللواتي يصدرن الأوامر.

- لا يهمني ماذا لا تحب!

وأطبقت يداه على كتفيها ورفعها عالياً حتى أصبحت وجهاً لوجه معه. وأجفلت كارن عندما وجدت نفسها تنظر إلى عينيه العنيفتين السوداوين. وللحظة انقطع نفسها حتى أنها لم تستطع التكلم. وأغمضت عينيها من الصدمة. ثم أعادها إلى الأرض، ولكنها اخذت تترنح كالسكري.

- ولا تقولي لي شيء.. أعرف أنني لم يكن عليّ أن أكون قاسياً هكذا.

وبينما كانت تفتش عن الكلمات لتقول له ما تظن به بالضبط، ظهر والدها ودعاهما:

- ألن تدخلا؟ الطقس بارد في الخارج.

وقالت كارن بصوت ضعيف «أنا قادمة» وسارت باتجاهه بسرعة، وتبعها روك ببطء. وقال جورج وهو يقدّمها:

- هل تتذكرين السيدة ميلمان يا كارن.

ومدت كارن يدها بأدب «طبعاً.. مرحباً سيدة ميلمان».

وقالت لها بيتي ميلمان «أنا سعيدة بأن أراك قد عدت ثانية إلى موطنك يا كارن».

- أنا مسرورة بعودتي إلى بيتي.

ونظرت كارن إلى الشخص الآخر في القاعة، فتاة تجلس على كرسي وهي تنظر إلى يديها المتشابكتين على ركبتيها، وعرفتها فوراً، إنها الفتاة التي كانت في منزل والدها في ذلك الصباح.

وسألتها بيتي ميلمان: «هل تذكرين ابنتي كارلا؟» ونظرت كارن إلى روك بغضب، هذه أخته إذاً؟ وليست صديقته؟ وما كان كل ما جرى ذلك الصباح؟ ماذا فعلت كارلا ميلمان؟ لقد كان عنيفاً معها وبدت متحدية له كثيراً وهو يجرها وراءه.

- أظن أنني أتذكرها..

وقفزت إلى ذاكرتها فتاة أصغر منها بكثير، نحيلة ورقيقة ولها عينان كبيرتان. ولم يكن لها اي تأثير حتى أنها نسيتها، إلى هذه اللحظة.

كانت أكبر منها، كارلا الآن في الثامنة عشر فقط.

وقالت كارن للفتاة «مرحباً» فهزت كارلا رأسها واجابت باقتضاب «اهلاً» ولم يكن جوابها غير ودي ولكنها أوضحت بهذه الطريقة أنها لا تعتبر كارن من عمرها ولا يمكن أن تكون صديقة مقربة. وبعد أن أعطت كارن نظرة باردة عادت إلى التحديق بالنار. وقالت السيدة ميلمان:

ـ تعالي واجلسي قرب المدفأة. نحن نحب الجلوس في الردهة في مثل هذا الوقت من السنة، إذ يكفي إشعال نار المدفأة، ولدينا حطب كثير، روك يقطع الأشجار ويحضّرها حطباً ولكنه يزرع مكان كل شجرة غرسة أخرى، فالأشجار جزء ثمين من دخلنا.

وقال روك «إنها غير مهتمة بادارة الأملاك يا أمي».

فردت عليه كارن «أوه.. ولكن هذا يهمني» ولم تكن تعرف سبب اندفاعها هذا لإزعاجه. ونظر إليها ليشعرها أنه فهم، ولم يعجبه الأمر! وابتسمت له بنعومة لتبلغه أن الشعور مشترك فهي لم تحبه ايضاً.

ولم يبدو أن أحداً لاحظ تبادلهما الصامت للعداء. وقالت بيتي ميلمان:

ـ كم أشعر بالأسف على خطيبك. اتمنى أن لا تكون إصابته خطيرة؟

ـ أتمنى ذلك أيضاً.. كان يجب أن أتصل بوالديه وأخبرهم.. ولكنني سأنتظر حتى اتأكد من حالته، فلا أريدهم أن يتركوا كل شيء ويطيروا إلى هنا، ولكن من ناحية اخرى، لو أن إصابته خطيرة فأنا أعرف أنهم لن يسامحوني أبداً، اذا لم أبلّغهم.. سأزاه غداً.. وأتصل بهم بعدها.

وتدخل روك قائلاً: «يبدو أنك نسيت! كان من الممكن أن اكون أنا في المستشفى أيضاً، أو أن أقتل! وكل هذا بسبب أن هذا الشاب لم يكن يركز ذهنه على الطريق».

وقالت أمه محذرة «كارن ضيفتنا يا روك! توقف عن عدوانيتك!» والتفتت إلى كارن «كارن أنا آسفة، روك ذو طبع سيء».

فقالت كارن «لاحظت هذا».

وفتح روك فمه ليجادل، ولكن جورج سبقه للقول بسرعة:

ـ لقد تذكرت.. غداً سأكون مشغولاً بتصليح الجدران يا روك. وكارن بحاجة لمن يوصلها إلى المستشفى، ربما أستطيع استبدال فترة عملي مع شخص آخر؟

ـ لن يكون هذا سهلاً.. فقد عملت جاهداً لتنظيم سير العمل. ولا أعلم من يمكن له أن يأخذ مكانك... انظر... سآخذها أنا إلى المستشفى، فعليّ أن أذهب إلى هناك على كل حال.

وقالت كارن بجفاء «سآخذ تاكسي» وبدت وكأنها تكره فكرة مواجهة أخرى مع روك ميلمان، ولكن لم يلاحظ ذلك أحد. وسألته السيدة ميلمان:

ـ ولماذا يجب عليك الذهاب إلى المستشفى يا روك؟

ـ يجب عليّ أن أزور جاك أرمسدن.

ـ آه.. طبعاً لقد نسيت.

وقال جورج «مسكين جاك العجوز، إجراء عملية خطيرة له ليس بالأمر السهل. وليس عنده عائلة حتى».

ـ لا لم يعد عنده عائلة، لذا يجب أن أزوره.

وقالت السيدة ميلمان: «أوه.. أجل... يجب عليك! مسكين هذا الرجل، لقد كان لطيفاً على الدوام. من يعتني بكلابه؟».

ـ لا تقلقي يا أمي أنا أعتني بها، والعصفور أيضاً.

وقالت كارلا فجأة بصوت عدائي «روك يفكر بكل شيء». وقطبت أمها في وجهها وقالت بغضب «أجل، هذا صحيح... ماذا بك يا كارلا؟ توقفي عن مهاجمة أخيك طوال الوقت!».

ـ اوه يا أمي أنا آسفة جداً.

ووقفت، وبدأت تصعد السلم فنادتها أمها:

ـ كارلا! عودي إلى هنا!

ولكنها لم ترد، فاحمّر وجه السيدة ميلمان وتكدرت، ونظرت إلى روك يائسة. «ماذا ستفعل بها؟».

ـ ستعود قريباً إلى كليتها، هذا كل ما نستطيع فعله.

ـ العشاء تقريباً جاهز، الأفضل أن أذهب وأحضرها.

ـ اتركيها.. إذا كانت جائعة ستنزل لوحدها، وإذا لم تكن جائعة، تستطيع فعل ما تشاء.

والتفت إلى جورج «لو سنحت لك فرصة، هل تزور جاك ارمسدن، يا جورج؟».

ـ طبعاً سأفعل.. لقد عرفته طوال حياتي! زوجته توفيت منذ سنوات، كان عندهم ولد مات وهو شاب، لا أذكر سبب موته، أتذكرينه يا بيتي؟

ـ ألم يكن بسبب شلل الأطفال؟ لقد كان موته فجائياً ومأساوياً.

ـ لا أستطيع التذكر جيداً. لقد كان جاك في الأربعينات، كم عمره الآن؟

وقال روك «اثنان وسبعون. لقد أمضى سنوات وحيداً».

وقالت كارن عالياً «يا له من عجوز مسكين!» وارتعدت، لأنها تذكرت كيف وجدت نفسها وحيدة عندما ماتت أمها. وقال روك:

ـ بما أنني يجب أن أذهب إلى المستشفى، سآخذ كارن معي وأصيب عصفورين بحجر واحد.

وقالت كارلا ميلمان وهي تهبط السلم «هل أستطيع الذهاب معكما» وعبس شقيقها في وجهها قائلاً «لن آخذك إلى أي مكان؟».

ـ أريد رؤية جاك! أنا أحبه كثيراً!

وقالت السيدة ميلمان «هذه فكرة جيدة! لقد كان جاك يحب كارلا دوماً يا روك، وانت تعلم هذا... لماذا لا تأخذها؟».

ـ بعد الإزعاج الذي سببته؟ حتى أنني لم أسمعها تعتذر!

ـ انا آسفة لأنني فقدت أعصابي... ها انا ذا... لقد اعتذرت هل ستأخذني غداً؟

وقالت كارن «أحب أن يكون معي رفيقة في الطريق».

ونظر الجميع إليها، نظرة روك فيها غضب، ووالدها والسيدة ميلمان بارتياح، وكارلا في أول اشارة للاهتمام... وهي تبتسم وقالت «هذا يحسم الأمر إذاً».

* * *

٤ ـ ما بعد الغضب

صباح اليوم التالي، عندما نزلت كارن لتناول الإفطار كان والدها قد ذهب إلى العمل. ولكن كان هناك امرأة طويلة نحيلة في الردهة، تلمّع الأثاث، وتطلعت المرأة إليها وهزت رأسها قائلة:

ـ صباح الخير.. أنت ابنته؟.. لقد خرج منذ فترة. لقد أنهيت عملي في المطبخ، اذهبي وحضري إفطارك، يجب أن أتابع عملي!

وتابعت عملها ولم تسمعها تنطق بكلمة بعد ذلك.

ووصل روك، وجلست كارن في المقعد الخلفي، لأن كارلا كانت تجلس الى جانبه، وقطعوا معظم الطريق دون أن يتكلم أحد منهم.

عند وصولهم إلى المستشفى، اكتشفوا أن تشارلز في نفس القسم الموجود فيه جاك ارمسدن، فقد كان تشارلز في سرير قرب النافذة والعجوز في سرير قرب الباب، حيث تستطيع الممرضات إبقاء مراقبتهن عليه.

وشعرت كارن بالراحة لرؤية تشارلز وقد تحسنت صحته، ولوّح لها

وهي تقترب منه، كان رأسه على الوسائد مضمداً، وسترة بيجامته مزررة فوق أربطة ضلوعه، وبدا شاحباً، ولكن عيناه مسرورتان. وابتسم لها وقال «مرحباً يا حبيبتي!».

ـ لقد كنت قلقة عليك كثيراً، ولكنك الآن أفضل بكثير.

ـ لقد تحسنت لرؤيتك يا عزيزتي.

وضحكت لمزاحه، وجرّت كرسياً وجلست قرب سريره.

ـ لو رأيتيني بالأمس، كنت في حالة سيئة جداً.

ـ مسكين يا تشارلز..

وامسكت يده وابتسمت له «أنا سعيدة جداً لأن إصابتك لم تكن خطيرة. كنت خائفة من الاتصال بوالديك حتى لا أبلغهما خبراً سيئاً».

ـ وهل علما بالحادث؟

ـ لم أبلغهما، أنتظر حتى تتحسن، لا أريد إخافتهما.

ـ تفكير سليم.. في الواقع، لا تتصلي بهما أبداً، عندما سأخرج من هنا سأرسل لهما بطاقة من أوروبا، وسأبلغهم بالحادثة عندما نعود.

ـ ولكن يا تشارلز لا تستطيع فعل هذا.

ـ كارن.. إذا أخبرناهم الآن سيتزعجون كثيراً. وأنت تعرفين هذا!

ـ ولكن عندما يعرفون، سيشعرون بالغضب.

ـ سأقنعهم.. والآن أخبريني عن والدك والمزرعة!

وأخبرته كل شيء عن لقائها بوالدها وما شاهدته في المزرعة، ثم أردفت «تشارلز.. في الحقيقة أعتقد أنني يجب أن أتصل بوالديك! أمك قد تتألم إذا لم نخبرها عن الحادثة. سيشعران بأننا لا نأبه بهما».

ـ سيسامحاني..

ـ ولكنني لست واثقة أنهما سيسامحاني أنا! لهما الحق بأن يعرفا.

ـ لا تضايقيني يا كارن.

ـ أنا لا أضايقك.. بل أظن فقط...

ـ انهما والداي، بحق السماء، وليسا والداك. سيهرعان إلى هنا وتبدأ أمي بالبكاء عليّ. ووالدي سيلومني، لقد كان دائماً يقول إنني سائق سيء. لم يكن يثق بقيادتي لسيارته. وسيطلبان عودتي معهما. ولن أعود قبل أن أزور أوروبا.

واسترعى شجارهما انتباه الممرضة المسؤولة عن القسم، فتقدمت من السرير وتفحصت تشارلز، ثم نظرت إلى كارن.

ـ أظن من الأفضل أن تذهبي الآن، فالسيد بيركلي لا يزال تحت تأثير المخدر، ويجب أن يرتاح.

ـ أنا لست مريضاً لهذه الدرجة يا آنسة.

ـ لا أظن أنك قادر على الحكم سيد بيركلي!

ونظر تشارلز إلى كارن، التي وقفت، وهي تشعر بالانزعاج والخجل وانحنت عليه وقبلته على خده وقالت هامسة «أنا آسفة.. لن أتصل بوالديك، لا تغضب يا حبيبي فأنا أحبك!» وقال لها تشارلز: «تعالي غداً» وابتسم. واستدارت كارن مبتعدة عنه.

وخرجت من المستشفى إلى حيث تقف السيارة، لتنتظر روك وشقيقته. وكانت السيارة مقفلة، فأخذت تتمشى حول الحديقة الملحقة بموقف السيارات. وهي تفكر بتشارلز، ومزاجه غير العادي. فالحادثة كانت صدمة عليه، وخسر الكثير من الدم، وأجريتم له عملية، مع عدة أضلاع مكسورة، وأنبّت نفسها: لماذا بحق السماء تشاجرت معه؟ لقد تشاجرا عدة مرات في الماضي دون أن يؤثر هذا

www.elromancia.com

عليهما، وتمنت لو أنها لم تتجادل معه اليوم. فلم يكن متمالكاً لنفسه، كان يجب أن تترك الموضوع حتى يصبح أحسن حالاً بالفعل.

وقع أقدام على الحصى جعلها تلتفت، لترى روك يتقدم نحوها، وكان لوحده، ولم تشاهد كارلا معه.

ـ لقد كانت زيارة قصيرة...

ـ لم يكن تشارلز بخير.. والمسؤولة اعتقدت أنني يجب الا أطيل الزيارة.

ـ ولِمَ أنتِ غاضبة هكذا؟

ـ أنا لست غاضبة!. أين شقيقتك؟

ـ إنها تزور خطيبك.. لقد لاحظت أنك لم تجلبي له الزهور.. فذهبت إلى المحل في المستشفى واشترت له بعضها.

ـ كم هذا جميل منها.

شقيقته كان لها نفس طباعه الفضولية. كارن لم تنس أن تشتري له الأزهار. بكل بساطة لم تكن تريد، في وطنهم سيشعر بالإحراج إذا شاهده أحدهم وهي تقدم له زهوراً. وتساءلت عما سيقول عندما تتقدم فتاة مجهولة منه وتعطيه باقة زهور وتتبادل الحديث معه. وسألها روك وهو يراقبها:

ـ هل انزعجت من الأمر؟

ـ لا.. أنا شاكرة لها.

وخرجت كارلا من المستشفى وانضمت اليهما، ورفعت ذقنها متحدية كارن. فقال روك:

ـ لقد أخبرتها أنك أخذت لخطيبها بعض الأزهار.

ـ أتمنى أن لا تكوني ممانعة.

ـ هذا لطف منك... شكراً لك.. لم يتحسن بعد، وأنا اكيدة أن أزهارك ستفرحه.

ـ لقد بدا معجباً بالزهور..

وصعدت إلى المقعد الخلفي، وقبل أن تدرك ما يحدث، وجدت كارن نفسها في المقعد الأمامي بالقرب من روك.

وبينما هم في طريقهم، مالت كارلا الى الامام وقالت لأخيها:

ـ انزلني في القرية.. أتسمح؟ أريد زيارة صديقة قديمة.

ـ من هي؟..

ـ لا تكن مزعجاً يا روك..

ونظرت إليه كارن من طرف عينها، ولاحظ روك ذلك. فأدار رأسه لينظر اليها، وقال لشقيقته بإصرار:

ـ لماذا لا تقولي من ستقابلين؟

ـ أوه.. سينثيا.. إذا كنت مصراً أن تعرف!

ـ ولماذا كل هذه السرية حول لقائك بسينثيا؟

وراقبت كارن كارلا من المرآة الأمامية، وهي تتساءل عما اذا كانت ستقابل سينثيا حقيقة. أم أنها اخترعت القصة لتخدع شقيقها؟

ـ ولماذا عليّ دائماً أن أقول لك كل شيء أريد فعله؟

ـ أوه... حسناً.. لا تتأخري.

ـ مزعج..

ـ أنت تعلمين أن أمي ستبدأ بالقلق إذا تأخرت لساعات دون أن تعرف أين أنت!

وأجابته بتنهيدة عميقة، وعندما دخلا القرية قالت كارلا بسرعة «أنزلني عند مكتب البريد، أتسمح؟ لقد وعدت تشارلز أن أشتري له بطاقة بريد من القرية».

ونظرت إليها كارن نظرة مجفلة.. تشارلز؟ لقد تلفظت باسمه كصديق مع انها لم تقابله سوى اليوم ولخمس دقائق فقط! هل طلب منها فعلاً أن تشتري له بطاقة بريد؟ أم هي عرضت عليه؟ ولكن كارلا

www.elromancia.com

تجاهلتها، وأوقف روك السيارة، ونزلت منها كارلا وصفقت الباب وراءها. ونظرت كارن إلى الخلف لتجد أن كارلا قد دخلت إلى مكتب البريد. آل ميلمان عائلة متطفلة! ماذا تظن كارلا أنها تفعل؟ تتبادل الحديث مع تشارلز، وتقدم له الزهور، تشتري الهدايا له؟

وسألت روك ببرود:

- هل تتدرب شقيقتك لتصبح مصلحة اجتماعية.

وأخذ يضحك، ولكنها قررت تجاهل ضحكته وسألته:

- ومتى ستعود إلى كليتها؟

- أوه.. قريباً.. لا تقلقي.

- أنا لست قلقة.

- أوه.. ألست قلقة؟

- لا...

- ألست غيورة لأنها تهتم بخطيبك؟

- إنها طفلة.. هل تتطفل دوماً على الناس؟ أعلم أن المراهقين يفعلون هذا.

- وهل تدعينها مراهقة؟

- إنها في الثامنة عشر، فماذا تدعوها غير هذا؟

واستدار عبر بوابة المزرعة وهو يفكر بالسؤال.

- حسناً.. كنت أقول إن كارلا امرأة شابة. إنها قانوناً بسن يسمح لها بالزواج، وقيادة السيارات، وأن تحارب لأجل وطنها. لذا لا أستطيع تسميتها بالمراهقة.

وأوقف السيارة أمام المنزل، واستدار في مقعده ليواجهها:

- لا تهتمي بها إنها رومانسية الطبع، وخطيبك جميل، وهو راقد في سرير في المستشفى وبعيد عن وطنه وأهله، وهذا ما يجعل فتاة مثل أختي، لا تستطيع مقاومته!

واستمعت إليه كارن وهي تتطلع به، أحياناً تتمنى لو أن معها مسدساً لتطلق عليه النار، وأحياناً، مثل الآن، يبدو لطيفاً، خلوقاً، ورقيقاً. آل ميلمان عائلة محيرة، إنهم لغز.

وابتسم لها ابتسامة صغيرة مخادعة، وأحد حاجبيه يرتفع:

- بماذا تفكرين الآن؟

- آسفة؟

- لقد كنت تنظرين إليّ بطريقة غريبة.

- لقد كنت افكر...

- عيناك لهما أجمل لون أخضر رأيته في حياتي.

ومد يداً كسولة ليلمس خدها الأحمر. فتراجعت مذعورة من جراء تلك اللمسة، وتطلعت بعيداً وتمتمت:

- شكراً لتوصيلك لي، من الأفضل أن أبحث عن والدي.

وفتحت الباب، ونزل روك بدوره ووقف مواجهاً لها عبر سقف السيارة.

- لن تجديه هنا، إنه يترك المفتاح تحت وعاء زهور على نافذة المطبخ.. تعالى سأريك أين هو.

- وأين يكون والدي الآن؟

- إنه عند تلة وندكار يصلح الجدار.

- بالطبع.. لقد نسيت! لست أدري كيف نسيت!

- وهل هناك ما يشغل بالك؟

ووصلا إلى خلف المنزل، ورفع روك وعاء زهور عن نافذة المطبخ والتقط المفتاح من تحته. ومدت يدها لتأخذه قائلة «شكراً لك». ولكنه كان قد وصل إلى الباب ووضع المفتاح في القفل. ودفع الباب، وأشار اليها لتدخل. وتبعها إلى الداخل وأغلق الباب وراءه، وتوترت أعصاب كارن بعنف. وقالت له بطريقة لم ترد أن تكون فظة

www.elromancia.com

«حسناً.. شكراً لك» ولكنها كانت متوترة لكونها وحيدة معه في البيت. عندما يكونان لوحدهما كانت تشعر بإحساس غريب: مزيج من الحرارة والغضب، لم تستطع فهمه. كانت تشعر بردة فعل متفجرة، تشعر بها في أعماق نفسها، غضب يغلي إلى أن يصبح لضغطه قوة رهيبة. لم تكن قد شعرت بشيء مماثل له من قبل، وهذا ما أزعجها. وقال روك ببرود:

ـ لن يعود قبل أن يحلّ الظلام.

ـ لا بأس.. لا يهمني الأمر. سأكون على ما يرام.

ـ لماذا لا تأتين معي إلى منزلنا وتتناولين الشاي مع والدتي؟

ـ شكراً.. ولكن..

ـ ستكوْن مسرورة جداً برؤيتك!

ـ في الحقيقة عليّ أن أغسل الثياب وأكويها.

ـ ماذا لديك ضد والدتي؟

الهجوم كان فجائياً وغير متوقع. وارتفعت عيناها إليه، واسعتان ومجفلتان.

ـ لماذا.. لم... ما الذي يجعلك تظن أنني..

ـ وجهك يتغير كلما ذُكرت أمامك. هل تعتقدين أن بإمكانك إخفاء الكراهية؟ أنت في الحقيقة لا تحبين امي.. أليس كذلك؟

ـ لا.. أنا لا أحبها.. وأنا واثقة أنك تعرف السبب!

وقال بهدوء «أخبريني السبب».

ـ لا تدّعي أنك لا تعرف شيئاً! أنت لست غبياً. وإذا كان غريب مثلي يرى الأمر بوضوح، فيجب أن تكون قادراً على ملاحظة الأمر منذ سنوات.

ـ عن ماذا تتحدثين؟ وما الذي ما استطعت رؤيته بوضوح؟

ـ أمك.. وأبي!..

ـ أعرف كل شيء عنهما! والدتي أخبرتني القصة كلها، وعندما رأيتهما معاً بعدما وصلت هنا، عرفت أنها قالت لي الحقيقة! ويجب أن تكون تعرفها ايضاً. فلست أعمى لهذه الدرجة!

ووقف جامداً، يحدّق بها، وكأنه ينظر مباشرة إلى ذهنها، ولم يعجبه ما رأى. قد يكون عارفاً بعلاقة الحب القديمة الطويلة بين والدته وجورج كارداس، ولكنه لا يحب أن يتحدث بها أحد. لقد فضّل أن يغلق عينيه عنها، دون شك، كما فعل والده لسنوات طويلة. ولكن ربما والده لم يكن يعلم؟ عندما كانت طفلة كانت تشاهد عائلة ميلمان مع بعضهم، وكان هناك شعور دافىء وعاطفي بينهم، وهذا كان يصدمها لأن الأمر كان مختلفاً بين والديها.

واستدار روك فجأة وملأ الإبريق من الحنفية. فسألته كارن «ماذا تفعل؟».. «أصنع بعض الشاي» ووضع الإبريق فوق النار دون أن ينظر إليها. وصاحت به «أفضل أن تذهب.. الآن أرجوك!» فقال «هناك بعض الاشياء أريد قولها لك أولاً وأحتاج إلى فنجان شاي قوي قبل أن أقولها». وأحضر فناجين الشاي، وفتح البراد وأخرج بعض الحليب، ووضع الكل على الطاولة، وكارن تراقبه.

ـ أحب طريقتك بالتصرف في منزل والدي وكأنك في بيتك.

وتجاهلها روك ووضع أوراق الشاي في الابريق. فقالت له بغضب:

ـ هل لأن عائلتك تمتلك الأرض تظن نفسك أنك تمتلك الناس الذين يعملون فيها ايضاً!

واستدار نحوها بغضب، وشعرت بأنه سوف يضربها، فتراجعت إلى الوراء، وكشف عن اسنانه بابتسامة:

ـ أجل.. كان عليّ أن أضربك! اعتبري نفسك محظوظة لأنني

أسيطر على نفسي أكثر منك، وإلا لفعلت! والآن اصمتي بينما اعدّ هذا الشاي.

ـ لا تصرخ بي!

وصرخ بها «اجلسي!» الغضب في نظرته جعلها تطيع. وصنع الشاي، وراقبته وهو يصبه. ماذا عنده ليقول لها؟ هل تستطيع أن تحزر؟. وكسرت الصمت بعد أن أدار وجهه وهو يحمل فنجاناً في كل يد:

ـ أعتقد أنك تفضّل أن ادّعي أنني لا أعرف شيئاً عن علاقتهما؟

حسناً.. لا تقلق.. لن أقول شيئاً. لم أقل شيئاً لوالدي، وما كنت ذكرت لك شيئاً لو لم تدفعني إلى هذا!

ـ لست مضطرة لقول شيء.. لديك طريقة للإيحاء بما تريدين قوله!

وأعطاها الفنجان بطريقة خرقاء، فاهتز في يدها حتى كادت توقعه. «لم احب الطريقة التي راقبت فيها والدتي، او النظرة في عينيك كلما شاهدتيها تنظر إلى أبيك».

ـ آسفة، فلدي اسبابي، ولكنني لا أتوقع أن تفهم! لم تكن أنت ولا أمك من طُرِد من المنزل، بل كنت أنا وأمي! واذا كنت أتكلم بمرارة، فلأنني اضطررت للعيش مع امرأة حزينة لسنوات. كل ما كانت تتحدث عنه هو ما فعلته أمك بها. فليسامحني الله، في بعض الأوقات كنت أسأم من الاستماع اليها والومها! ظننت أنها مصابة بأعصابها وأنها اخترعت كل شيء. ولكنها لم تكن، أليس كذلك؟ لقد كانت تقول الحقيقة.

ومال روك على الجدار ووجهه اليها، يدير الفنجان بين يديه، وعيناه السوداوان مركزتان عليها. وسألها ببطء:

ـ وهل هذا هو سبب عودتك؟ لا لتري والدك ثانية.. بل لتكتشفي الحقيقة في قصص امك؟

ـ لقد عدت لعدة أسباب! أردت رؤية والدي ثانية، ورؤية يوركشاير والمزرعة والقرية، وكل شيء كنت أذكره. ولكنني أردت معرفة الحقيقة أيضاً.

ـ أواثقة أنت أنك لم تكوني تريدين إيذاء كل من تسبب بإيلام أمك؟

ـ لا أعتقد أنني أحببت هذا! قد تكون أعصابك باردة بما فيه الكفاية لتسعى وراء الثأر، أما أنا فلا.

ـ أوه.. لم أحلم أبداً بأن أشير إلى أنك ذات أعصاب باردة. ومع ذلك، وبعد مراقبتك مع خطيبك اليوم، أتساءل!

ـ اهتم بشؤونك الخاصة ولا شأن لك معي.

ـ وهل يعلم كل شيء عنك؟

ـ يعلم؟... ماذا؟

ـ ان امك قد حبستك خلال سنوات مقيّدة باردة، وأنك لا تعرفين شيئاً عن الدنيا وعن الحب؟

ورمت فنجان الشاي عليه بانفعال، وكان روك سريع الحركة فتجنبه قبل أن يصل اليه، ولكنه لم يتجنبه تماماً، ونظر بغضب إلى قميصه وسترته المملؤتان بالشاي. ولم تفاجأ كارن بكلامه البذيء فقد سمعت من قبل أسوأ منه، لكنها كانت خائفة منه، فهو يبدو مخيفاً عندما يثور، وتمنت لو أنها لم تفعل ما فعلت؛ وصرخ بها:

ـ ايتها الكلبة المجنونة!

ومد يديه نحوها بغضب، فهربت، وهي تشعر به خلفها وقد لحق بها بسرعة. وصفقت باب المطبخ وراءها، واستطاعت الوصول الى الدرج قبل أن يفتح الباب ثانية. مما أعطاها مسافة كافية للهرب. ولكنه مع ذلك استطاع اللحاق بها عند أعلى السلم، حيث كانت قد أصبحت بحالة محمومة: نصفها خوف ونصفها غضب.

وما ان أمسك بها بيديه القويتين حتى ذعرت وأخذت تضربه، وهذه المرة على وجهه كان صوت الصفعات أقوى من تأثيرها الحقيقي.

وعاد روك يشتم أيضاً، وقد تركت آثار اصابعها علامات بارزة على بشرته. وأمسكت يداه برسغيها، وأنزل ذراعيها على جانبيها. ودفعها على الجدار. وضغط عليها بجسده، وشعرت بثقله وبعضلات جسده. وكادت انفاسها تنقطع، وكان يجب أن تقاوم لتتنفس قبل أن تستطيع الكلام. وقالت بغضب شديد:

ـ أبعد يديك اللعينتان عني!

ورد عليها بغضب أكبر «لا تستطيعين قذفي بفنجان شاي ساخن وتنجين من العقاب، لا تفكري بهذا!».

وابتلعت كارن ريقها، ورأسها يتمايل بقوة من جانب إلى جانب وبدأ شعور بالغثيان يقبض على معدتها. هي لا تستطيع تخليص نفسها ولا تستطيع تحمل التلامس المفروض بالقوة بينهما، وكيف لها أن لا تشعر بجسده وهو يضغط عليها هكذا؟ تستطيع تجاهل كل ما يقوله، ولكنها لا تستطيع تجاهل ما يفعل. عندما يتنفس تشعر به، حتى أنها كانت تسمع دقات قلبه، وجهه لا يبعد سوى انشات عنها. وقالت ونفسها يكاد أن يكون مقطوعاً:

ـ حسناً.. أنا آسفة!.. هاك.. لقد اعتذرت! أيكفي هذا؟ اتركني إذاً!

ـ وهل هذا اعتذار؟ لماذا بحق الجحيم رميت الشاي عليّ؟

ـ لقد فقدت أعصابي!

ـ اوه.. وهل تستطيعين رمي أشياء على أي كان عندما تفقدين أعصابك؟

ـ لقد أهنتني..

ـ لقد قلت لك الحقيقة، لقد آن لك أن تواجهيها.

ـ إنها ليست الحقيقة!

ـ اوه.. أجل.. إنها الحقيقة! أمك كانت مريضة الأعصاب، وقد جعلتك معقّدة. أنت مشغولة الفكر بشيء حصل لشخص آخر من سنوات طويلة أكثر من انشغالك بذلك الشاب المصاب في المستشفى الذي يفترض أنك تحبينه!

ـ لا تكن سخيفاً.. إنني..

ـ إنك تجاهلت والدك بعد أن أخذتك أمك إلى أستراليا! ولم تردي على رسائله، مع أنه كان يجب أن تعلمي منها أنه يحبك ويشتاق إليك. ولم تأتي إلى هنا الآن لتقولي له إنك آسفة، او لتتعرفي عليه أكثر. لماذا اتيت؟ أتساءل: ألم تشكّي بأمك؟ هل أتيت لتكتشفي ما إذا كانت امرأة معقّدة، او مريضة أعصاب هستيرية؟

ـ بطريقة ما.. كانت هكذا! ولكن هذا لا يعني أنها لم تكن على حق حول أمك وأبي. لا أعتقد أنك تحب أن تعترف، ولكنهما عشيقان، ولسنوات طويلة. وهذا ما دفع أمي إلى حافة الانهيار. شيء ما جعلها تصبح مجنونة!.

ـ وبدورها، جعلتك ما أنت عليه الآن!

ونظرت إليه بغضب، ثم تصلبت بعد أن أدركت كم كان وجهه قريباً من وجهها. حتى أنها استطاعت أن ترى كل مسام بشرته. فتمتمت متلعثمة «أنا... أحب تشارلز!» وكأنها بذكرها اسم تشارلز تستطيع وضع جدار بينها وبينه، وتراخت يداه عن رسغيها وافلتهما وكانت تستطيع أن تفلت منه لو حاولت. ولكنها لم تحاول، بل أمسكت به وغرزت أظافرها في جلده وأخذ جسمها يرتجف إلى أن انطفأ لهيب غضبها وارجعت يديها إلى الوراء. وشعرت بالغثيان وقالت بصوت أجش «لا... ابتعد عني، اذهب بحق الله».

وتركها روك دون ان يجادل، وقبل أن يقول شيئاً أسرعت بالهرب

www.elromancia.com

إلي غرفتها. وصفقت الباب وراءها وأقفلته بالمفتاح. واتكأت عليه وهي ترتجف، كارهة نفسها. كانت تحب تشارلز، أحبته منذ سنوات وليس هناك ذرة شك في مشاعرها نحوه. فماذا حلّ بها بحق السماء؟ إنها تكره روك ميلمان بالقدر الذي تحب فيه تشارلز، لماذا، اوه، لماذا تركته يؤثر عليها هكذا؟

وسمعت صوت سيارة روك وهي تغادر، وتنهدت بارتياح، وسارت مترنحة نحو النافذة لتراقبه وهو يختفي. وأخيراً ذهب، وتستطيع أن تسترخي، وتستطيع أن تعيد نفسها إلى الواقع قبل أن يحضر والدها. ودخلت الحمام، وخلعت ملابسها واغتسلت بماء بارد تقريباً، وهي تفرك جسمها من قمة شعرها إلى أخمص قدميها، ثم جفّفت نفسها بشدة، وغضب. إنها بحاجة لتنظيف نفسها جيداً، من مرارة ما تركته تلك اللحظات وهي بين ذراعي روك. ولكنها لن تقدر ابداً أن تخلص نفسها من الخجل لما شعرت به...

وارتدت ملابس نظيفة، وبعد أن جفّفت شعرها، جمعت الملابس التي خلعتها ونزلت لتضعها رأساً في ماكنة الغسيل في الغرفة التي تقود رأساً إلى المطبخ، وضغطت الزر لتبدأ عملية الغسيل، ثم دخلت المطبخ وأفرغت إبريق الشاي ونظفته، ونظفت الفناجين وإبريق الحليب والملاعق.. كل شيء لمسه روك أو استخدمه، وكانت شاحبة وملامح وجهها قاسية.

وصنعت لنفسها فنجان قهوة، في فنجان جديد، وجلست تصغي إلى الصمت من حولها، وتشعر بالوحدة، وتمنت لو أن والدها يعود الآن الى المنزل.

ما كان يجب على روك ميلمان أن يقول إنها لا تهتم بوالدها، فهذا ليس صحيحاً، إنه لا يفهم. كيف تستطيع أن تشرح لأي كان تعقيدات الخيانة والولاء، الذي سببه انفصال والديها في ذهنها؟ لو

أنها أحبت والدها ستكون غير وفيّة لأمها، وإذا خانت أمها ستؤلم نفسها وتؤلمه.

لقد عادت إلى هنا لتعرف حقيقة مشاعرها، لتحل الوضع المؤلم، وتكشف حقيقة الكابوس الذي عاشت فيه طوال هذه السنين...

ولكن هل جعلت الأمور تسوء أكثر برجوعها؟ وهل كان عليها أن تبقى بعيدة.. وإلى الأبد؟

* * *

www.elromancia.com

٥ ـ هل تعرفين الحب؟

في اليوم التالي أوصلها والدها إلى المستشفى لزيارة تشارلز، واحست كارن بالراحة لرؤيته في أحسن حال، وبدا مبتهجاً أكثر. وعندما حاولت أن تعتذر عن شجارهما بالأمس قال:

ـ لقد كنتِ على حق.. وهذا جزء من سبب غضبي! لقد كنت أعلم أن والداي سيثوران إذا لم نبلغهما.

ـ إذاً سأسرع بالاتصال بهما.

ـ لا حاجة لذلك لقد اتصلت بهما، تحدثت مع والدتي، والدي لم يكن موجوداً.

ـ وماذا قالت؟

ـ لقد تحايلت عليها، وقلت إنني فقدت الوعي، وكسرت بعض الأضلاع، وجرحت رأسي، ولكنني لم أخبرهم عن العملية، ولا عن وجود ضلع مغروز في الرئة.

ـ ماذا.. ضلع مغروز بالرئة. لم يكن عندي فكرة أن العملية خطيرة هكذا! لم يقولوا لي...

ـ لم يقولوا لك؟ إنهم محتالون، أليس كذلك؟ إنهم لم يقولوا لي حتى اليوم..

وتفحصته كارن جيداً. إصابته كانت رهيبة، ولكنه يتنفس بسهولة ولونه طبيعي، بالنسبة ليوم أمس. وابتسمت له ونظرت إلى الزهور التي أحضرتها له كارلا ميلمان وسألته «هل أحضر لك شيئاً يا حبيبي؟» ولاحظ تشارلز نظرتها فضحك «هاي... عصفورة جميلة أحضرتها لي!... قالت إنها تعرفك، جيران لوالدك، أو شيء من هذا القبيل، أهذا صحيح؟».

ـ إنها كارلا ميلمان.

ـ هذا صحيح.

ـ عائلتها تملك مزرعة أبي...

ـ يملكونها؟ ظننت أنه...

ـ لا، هو لا يملكها، إنه مستأجر، ولديهم عدّة مزارع، عائلتي مستأجرة عندهم منذ أجيال كثيرة.

ـ إذاً والدك لن يورثك مزرعة؟

ـ لا فالمزرعة ستعود إليهم! لو كنت صبياً لتركوها لي ولكن...

ـ لا بد أن الأمر أزعجك؟

ـ ولماذا يزعجني؟

ـ معرفتك أن والدك لا يستطيع ترك المزرعة لك!

ـ أنا لا أريدها على كل حال. فانا لست مزارعة، ولكنني أعتقد أن الامر ليس منصفاً بعد كل هذه السنوات التي أمضاها أبي بزراعة الأرض.

ـ لقد أحببت دوماً أن يكون لديّ مزرعة!

ـ حقاً؟ لم تقل لي هذا من قبل!

ـ ألم اقل لك؟ حسناً إنه واحد من طموحاتي.. أحب ان أكون رائد فضاء ايضاً! اتظنين أن الوقت تأخر لأبدأ التمرين؟

ـ أجل، لقد تأخرت...

ـ هل ميلمان عائلة كبيرة؟

ـ كارلا لديها أخ، اسمه روك، إنه السائق الذي كدنا نصطدم به.

ـ اجل.. لقد قالت شقيقته هذا، هل يكرهني؟ لقد قالت إنه لم يصب بأذى، ولكن لا بد أنه صُدم. يبدو أنك لم تحبيه؟

وهزّت كتفيها وراقبته وهو يرتشف قليلاً من الماء. وسألها:

ـ كيف يبدو؟

ـ إنه رائع.. شخصية قوية. ولكنه ميلمان، كلهم واثقون من أنفسهم كثيراً.

ـ أكنت تعرفينه وأنت طفلة؟

ـ بالكاد أتذكره، كنت صغيرة جداً، يبدو أن له اصبعاً في كل الأمور هنا، حتى في المستشفى كما لاحظت، الكل يعامله كشخص مهم، كأحد منفذي إرادة الآلهة.

وضحك تشارلز، ثم توقف وكأنما الضحك آلم أضلاعه، ونظرت اليه كارن بقلق، ربما عليها أن تتركه؟ لا بد أنه تعب.

ـ هل حاول مضايقتك؟

ـ لقد حاول!.

لم تكن تستطيع أن تقول له ما تشعر به تجاه روك، وآلمها هذا لأنها شعرت أنها تخدعه. وهذا شيء لم تفعله من قبل! في الماضي كانت تقول له فوراً عندما يحاول أي رجل العبث معها. ولكن لسبب ما لم ترغب في إخباره عن روك.

ـ ولكنه فشل.. أليس كذلك.

ـ لنقل إنني لا أهتم به.

وأشار الجرس إلى نهاية ساعة الزيارة. ووقفت كارن وودعته مرتاحة لانتهاء المحادثة.

ـ سأراك غداً.. لا أستطيع أن أطلب من والدي إحضاري إلى هنا مرة أخرى اليوم، والسيارة المصدومة لا تزال في التصليح.

ـ يا إلهي... لم أفكر بفاتورة الكراج؟ كم ستكلف؟

ـ لا تقلق ستدفع شركة التأمين، لقد تدبرت كل شيء.

وهذا شيء آخر لم ترد أن يعرفه، لأن روك هو الذي دبّر كل شيء حول السيارة. وكانت تعتقد أن شركة التأمين تغطي كل الحوادث، ولكنها ستتأكد في الغد من هذا. وسألته ثانية «هل أحضر لك شيئاً؟».

ـ مجلة رياضية، أي شيء خفيف للقراءة. لا تجلبي فاكهة يا حبيبتي فأنا ممنوع من أكلها.

ووجدت والدها ينتظر بسيارته في موقف المستشفى. وسألها وهما ينطلقان «كيف حاله؟ متى سألتقي به؟».

ـ إنه أفضل بكثير.. ولماذا لا تأتي معي وتقابله غداً؟ ستحبه!.

وهذا ما حصل، بالطبع. فمن السهل الإعجاب بتشارلز وهو مصمم طبعاً على كسب محبة والدها. لذا فقد تصادقا فوراً، وسُرا جداً باكتشاف سهولة صداقتهما لبعض.

ـ عندما تخرج من المستشفى يجب أن تأتي وتبقى معي لفترة. وسأبذل جهدي حتى لا تضجر، ليست مزرعة الغنم أفضل مكان في العالم... ولكن...

ـ لقد احببت على الدوام أن أعيش في مزرعة..

وكان هذا الكلام المناسب لقوله لوالدها، فقد سر جداً وشعر بالسعادة وأخذ يروي لتشارلز كل شيء عن المزرعة.

خلال عدة ايام لم تعد كارن تشاهد روك، وشعرت بالراحة، وتمنت أن يبقى الأمر هكذا إلى ان تغادر هي وتشارلز يوركشاير. ولكن، وهذا أمر طبيعي، على روك أن يعمل قريباً من والدها، مثل بقية المستأجرين، في أعمال معينة، تصليح الجدران القديمة التي

تفصل بين المزارع، مثلاً، او عندما يحتاجون لاستعارة آلات لا يستطيعون شراءها بينما يملكها روك.

وذلك الصباح كان جورج كارداس يتوقع قدوم روك في أي يوم لمناقشة عملية صيد الأرانب. وصاحت كارن:

ـ أوه.. يا للأرانب المسكينة!

وانطلق والدها بانفعال يخبرها عن الأرانب وتصرّفها المؤذي، وكيف تأكل براعم الزرع، فقد أكلت الارانب خضراواته في الربيع وعبثت بالقمح، وسرد لها لائحة بالأسباب التي يكره المزارعون لأجلها الأرانب. ولكن كارن أصرّت على حبها لها «الأرانب جميلة».. «إنها كالوباء!» وجعلها هذا تضحك وقالت متحدية والدها «حسناً.. أتمنى أن لا تصطاد أي واحدٍ منها».

في الواقع لم يظهر روك في المزرعة ليومين تاليين، وعندما أتى لم يكن ذلك لأجل صيد الأرانب، ولم يكن جورج كارداس في المنزل. كان في مكان ما من المزرعة، برفقة الطبيب البيطري المحلي ليتفحص بعض الخراف.

وكانت كارن في المطبخ، تحضّر وجبة المساء. ولم تعلم بوصول روك. ولكنه أيضاً لم يدق الباب، مما جعلها تجفل، واحمّر وجهها واستدارت وفمها مزموم بعنف «أوه.. هذا أنت!» وتصلّبت تحت وطأة نظرته المتفحصة، واشتدت يدها على قبضة السكين التي كانت تمسكها فرفع حاجبه وقال ساخراً:

ـ وهل تنوين استخدام هذه؟

ـ كنت أقطع البقدونس. والدي خرج مع البيطري ليتفحص القطيع. ولا أعلم متى سيرجع، سأقول له إنك أتيت.

وأدارت له ظهرها وعادت إلى عملها. ولكنه لم يغادر، وبقي حيث هو، وسألها «كيف حال الخطيب؟».

وأخذت تقطع البقدونس بغضب «بخير.. شكراً» لم تكن تريد أن تتحدث عن تشارلز، ولم تحب لهجة صوته التي يستخدمها دوماً.

ـ لقد قالت لي العصفورة إنه سيتمكن من مغادرة المستشفى أبكر مما كنا نعتقد. إن صحته تتحسن بسرعة.

ـ نأمل بهذا!

كان عليها أن تتوقف عن التقطيع، فأمامها جبل صغير من البقدونس الآن، وماذا ستفعل بكل هذا؟ لقد كانت تريد تقطيع القليل منه من أجل الطبخ، ولكن جوش شلّ تفكيرها. من يعني بالعصفورة؟ هل اتصل بالمستشفى؟ ام أن والدها أخبره؟ ولكن لديه اتصالات كثيرة في المستشفى. فعائلة ميلمان موجودة هنا منذ العصور الوسطى والجميع يعرفهم ويعرفون الجميع.

ـ وهل ستسافران فوراً، ام تبقيان هنا لفترة؟

ووضعت السكين من يدها، وأخذت تنظر إلى نتيجة عملها، غير راضية:

ـ لم نقرر بعد.

ـ لم تذهبي لرؤية والدتي، كانت تأمل أن تزوريها، لقد طلبت أن أقول لك هذا.

ـ آسفة، كنت مشغولة.

وأخذت تضع كومة البقدونس الأخضر في وعاء بلاستيك. ووضعت الوعاء في البراد وصفقت باب البراد.

ـ أتعنين أنك لا تريدين رؤيتها؟ لا أستطيع أن اقول لها هذا، هل أستطيع؟

ـ أنا مشغولة كثيراً الآن، وأخشى أنك يجب أن تعذرني!

ـ لا.. لن أعذرك!

وكادت أن تخرج من جلدها للطريقة التي قالها بها. وتراجعت تنظر

إليه بانفعال. وتابع قائلاً:

ـ لن أدعك تؤذين مشاعر أمي! إذا لم تزوريها ثانية وأنت هنا ستتألم. وستسأل والدك ماذا فعلت لتغضبك.

وشحب وجه كارن وقالت «لا أريد التحدث بهذا الموضوع».

ـ لا آبه البتة بما تريدين!

وتقدم خطوة نحوها، فتراجعت، وجسدها كله يرتجف.

ـ أنا واثقة أنك لا تهتم! وهذه طبيعة كل عائلتك... كل ما تهتمون به هو ما تريدون، ولا تأبهون كم من الناس تحطمون في طريقكم! أنتم من نوع الديناصور، ملاّكي أرض أقطاعيون، من خارج هذا العصر لا تزالون تظنون أن العالم يعمل لكم!

فأمسك بكتفيها وحدق في عينيها قائلاً:

ـ ملاّكي ارض أقطاعيون! عن ماذا تتكلمين بحق الجحيم؟ هذا هراء، وأنت تعلمين هذا!

ـ ارفع يديك عني! ولا تظن أن بإمكانك التأثير عليّ!

واستخدمت كل قواها لتتخلص من قبضته، ولكنه أطبق أصابعه اكثر، وأخذ يهزها بعنف.

ـ أنت تفكرين بعاطفتك يا كارن، لماذا لا تحاولين استخدام عقلك لبعض التغيير؟ لو أن هناك أية علاقة حب بين والدتي وجورج، فلماذا لم يتزوجا؟ ولماذا السرية حول الأمر؟ ليس هناك شيء يمنعهما. فكلاهما حر، وكلاهما راشد، ولا شيء في الدنيا يمنعها من الزواج!

ـ ربما والدي يخاف من خسارة المزرعة، فأمك ليست المالكة، بل أنت. وإذا لم توافق، يمكن لك أن تسحب عقد الإيجار دون سبب.

وضحك «لن أفعل شيئاً من هذا».

ـ هذا ما تقوله الآن، ولكن والدي لا بد خائف أن يخاطر.

ـ إذا كان يهتم بالمزرعة إلى هذا الحد، فهو إذاً لا يهتم بوالدتي!

www.elromancia.com

وليس هناك شيء ثابت، كلام أمك فقط، ولا يُعتمد عليه كثيراً.

ـ عند قدومي إلى هنا، كان كلام أمي هو كل شيء لدي، ولكنني رأيت بعيني.

ـ وماذا رأيت؟

ـ الحب.

وغرز أصابعه في لحمها وقال من بين أسنانه «ماذا؟».

ـ وهل تعرف معنى الكلمة؟

ـ أعرف ماذا يعني الحب.. ولكن هل تعرفين انت؟ وهل تتعرفين عليه عندما ترينه؟ ام أنت تتخيلين هذا فقط؟

ـ ولماذا تسألني هذه الاسئلة؟ اسأل امك؟ إننا نتحدث عنها.

ـ وهل هذا صحيح... أواثقة أننا لا نتكلم عنك؟

ولم تكن كارن مستعدة لتقبّل هذا السؤال فقالت:

ـ لا تحاول تغيير الكلام كحجة لهجوم آخر عليّ! أنا لا أقف في محكمة هنا. لقد سألتني لماذا لا أحب والدتك، وكنت صادقة معك!

ـ لا أظن أنك صادقة حتى مع نفسك!

ـ حسناً... اضربني!..

ونظرت إليه متحدية، وحدّق بها للحظات، ثم جذبها نحوه بعنف وأطبق ذراعيه عليها، وأحسّت بنبضات قلبها تزداد الى سرعة جعلتها تحس بالدوار. كانت ترتجف بردة فعل يائسة، لم تكن لا الألم ولا السرور، ولكن مزيج لا يصدق من الاثنين، وكرهت هذا الشعور، وكرهته ايضاً. يجب عليها أن تتخلص منه، أن توقفه عند حده، وإلا ستصبح مجنونة، وبدأت تقاومه وجسدها يكافح للخلاص، ولكن مقاومتها لم تحررها، بل حرّرها صوت، وصيحة دهشة!

ـ مرحباً؟ أيوجد أحد هنا؟... أوه.....!

وأدار روك رأسه، وقد تورد، وهو يتنفس بصعوبة وتعبير ضبابي فوق عينيه، وهو ينظر حوله.

وهربت كارن من بين يديه واستدارت لتواجه الباب الخلفي... بعد ان انفتح.

وكانت كارلا ميلمان تقف هناك، تحدّق باستغراب وفمها مفتوح، وعيناها واسعتان كبيرتان، يبدو فيهما الصدمة والفزع...

وتمنت كارن لو أن الارض تنشقّ لتبتلعها.

* * *

www.elromancia.com

٦ ـ ما كان يجب حدوث هذا!

قالت كارلا بصوت مرتفع النبرات:

ـ آسفة.. لقد قرعت الباب ولم يرد عليّ أحد.

وقال روك عابساً «لن أتأخر!».

ـ هذا ما قلته عندما دخلت إلى هنا، وها أنت قد تأخرت ربع ساعة! لقد كدت أتجمد من البرد، وسئمت، فهل تستطيع أن تسرع؟

وابتسمت كارلا لهما ابتسامة ماكرة «مهما كنتما تفعلان، باستطاعتكما تأجيله. ألا يمكن ذلك؟» قالت هذا بلهجة جعلت موجة جديدة من الدماء تصعد إلى وجه كارن، ثم اختفت كأرنب يعود إلى حجره. وصفقت الباب وراءها وبقي روك يحدّق إلى حيث كانت شقيقته تقف. وتفوه بكلمات من بين أسنانه كانت كارن سعيدة لعدم سماعها... وقالت وهي تتأوه «وجهها....».

ـ لا تهتمي بكارلا.. ألا تتذكرين فترة مراهقتك؟ ليس هناك أي شخص يميل إلى الانتقاد أكثر من المراهقين!

ـ لقد كان الامر محرجاً جداً!

ـ أوه.. بحق السماء لا تجعلي للأمر أهمية. بالطريقة التي تتصرفين بها أي إنسان سيظن أن كارلا ضبطتنا بوضع مشين!

ـ ماذا لو أنها ظنت؟.. أعني، قد تظن.. وماذا لو اخبرت أحداً...

ـ لو أنك توضحين ما تقولين لفهمت عليك!
فردت عليه بصوت حاد «ماذا لو أخبرت كارلا أحداً بما رأت؟».
ـ لن تخبر أحد!
ـ وكيف تكون واثقاً لهذا الحد؟
ـ أعرف اختي، وعلى كل سأتحدث معها وأتأكد من عدم قولها شيء.
ـ أليس من الأفضل أن تذهب؟ كارلا لا تزال منتظرة، والسماء وحدها تعلم ماذا تفكر بأنه يحدث هنا! أوضح لها أن ليس هناك شيء بيني وبينك!
ـ بعدما رأته؟
ـ قل لها إنك هاجمتني، وهذا لا يعني شيئاً.
ـ عندما أهاجم امرأة، هذا يعني شيئاً.. يعني أنني أهواها!
وعضت على شفتها. إذاً فهو يهواها.. فقالت له متوسلة:
ـ حسناً.. أرجوك، قل لشقيقتك أن تنسى ما شاهدته!
ـ قد أفعل.. وقد لا أفعل! إذا أردت مني معروفاً.. يجب أن تعديني برده..
ـ وماذا تريد؟
ـ أريدك أن تعديني بزيارة والدتي، وأن تتصادقي معها.
ـ وهل ستجعل كارلا تعتقد أنها أخطأت بما رأته؟ وأننا كنا نتشاجر وليس... قل لها إن الأمر لم يكن... ما تخيلته...
ـ سأبذل جهدي، سأكذب عليها إذا اصبحت لطيفة مع أمي؟ هل اتفقنا؟
ـ لن تكذب على كارلا.. هذه هي الحقيقة!
ـ حسناً... اتفقنا.
ـ ومتى ستزورينها؟

ـ لست أدري.. في وقت ما غداً.. هل هذا جيد؟
ـ تعالي في وقت تناول الشاي.
ـ أوه.. حسناً! والآن هل تذهب وتتركني بسلام؟
ـ لك طبع مشتعل.
ـ هذا صحيح، وأنت تدفعني لأقصى الحدود يا سيد ميلمان! اخرج من هنا! اتسمح؟
وعادت كارن لإكمال تحضير العشاء، وعندما انتهت، صعدت إلى غرفتها لتأخذ حماماً وتغير ثيابها قبل أن يرجع والدها. كانت تتمتع برؤية وجهه وهو يشرق عندما يدخل المنزل ليراها تنتظره والموسيقى تعلو من الستيريو، والزهور في أوانيها، ورائحة الطعام اللذيذ تملأ الهواء.

لقد مضى وقت طويل منذ أن حُرم جورج كارداس من الحياة العائلية، وكان يتمتع برفقة ابنته، وكارن بدورها كانت تتمتع بوجودها معه. عندما وصلت شعرت بالبرودة في الطابق العلوي المخصص للنوم، وبوحشة الغرف غير المسكونة، وأصبحت مصممة أن تقلب برودة هذا المنزل إلى جو بيت حقيقي ما دامت فيه.
ووصل والدها إلى المنزل متأخراً، وهو متورد الوجه من أثر الريح في البراري. واعتذر قائلاً «آسف يا حبي.. لقد تجولنا أكثر مما كنا ننوي في الأراضي، وتوقفنا عند شارلي رودوك، لتناول القهوة والحديث»....
ـ ولماذا تأخرتم؟
ـ حسناً ربما استغرقنا في الحديث، وعندما رأينا أن الوقت قد تأخر أوصلنا شارلي بسيارته، آمل أن لا يكون العشاء قد احترق!
وردت عليه وهي تتظاهر بالانزعاج «تقريباً» ثم ابتسمت.
ـ ولكن لا تهتم.. اذهب واغتسل واخلع ثيابك الموحلة.

كانت رائحة لحم الغنم والتوابل والأعشاب تملأ المطبخ، عندما عاد جورج، فتنشق الرائحة بقبول قائلاً:

ـ هاي... إن الرائحة لذيذة يا فتاة! وتبدو عظيمة أيضاً! وأحب البطاطا المطبوخة. وماذا هناك في هذا الوعاء؟

ـ إنه لبن رائب مع الثوم.

ـ أوه.. صحيح؟ وهل الثوم من حديقتنا؟ والبقدونس ايضاً!

أتعرفين أن أمك هي التي هيأت الحديقة لزراعة الخضار منذ سنوات، لقد لاحقتني لأشهر لأحضّر لها قطعة الأرض كحديقة، ثم بذرت البذور، ولم ادري إلا والخضار قد نمت من كل الأنواع، ولكنها لم تهتم بها بعدها، وحافظت عليها بعد أن ذهبت.

ـ حسناً أتمنى أن يعجبك طعامي!

وأخذت الوعاء من منتصف الطاولة وسكبت اللحم.

ـ روك ميلمان كان هنا.

ـ هل كان يبحث عني؟ هل قلت له أين كنت؟

ـ اجل، لقد كان مستعجلاً، وكانت معه أخته، وطلب مني زيارة منزلهم ثانية في الغد.

ـ وهل ستذهبين؟

ـ اجل لقد دعاني لتناول الشاي... وهل ستأتي أنت؟

وتردد جورج قليلاً، ثم هز رأسه وقال:

ـ لا... اذهبي لوحدك هذه المرة يا فتاة.

وتناول أول لقمة من الطعام، وأغمض عينيه يتمتع برائحة الطعام ونكهته وراقبته كارن بسرور، وتناول المزيد، ثم ابتسم لها وقال:

ـ أين تعلمت الطبخ هكذا؟

ـ لقد كنت أسكن في شقة لوحدي في سيدني، وكان عليّ أن أتعلّم الطبخ أو أموت جوعاً. وهكذا تعلّمت الطبخ الجيد لنفسي.

ـ نفس الشيء حدث معي، ولكنني لست طموحاً مثلك. وآكل في الخارج من وقت إلى وقت.

في الصباح التالي زارت تشارلز، ووجدته جالساً في مقعد إلى جانب السرير يقرأ قصة. وأخبرته أنها اتصلت بوالديه، وكانا مسرورين وأرسلا له معها رسائل حب. واخذ يستمع إليها ويبتسم.

ولم تخبره بأنها ستتناول الشاي عند آل ميلمان، فقد نسيت ولكنها شعرت بالراحة لعدم ذكر الأمر، لأنه كان سيسألها عن روك ميلمان، ولن تعرف ماذا ستقول عنه. الطريقة التي تفكر بها بروك كانت تزعجها، مع أنها تكرهه، وتكره كل شيء فيه من نظراته المربكة الى تكبّره، إلى تصرفاته الإقطاعية نحو كل من يقع تحت سلطته.

روك كان متكلفاً وزائفاً. وهو يتودد اليها وكأنه واثق من نفسه. ويجب عليها أن لا تدعه يتصرف معها هكذا مرة أخرى.

ورافقت والدها لتناول الغداء قرب المستشفى، في مطعم صغير جميل له ستائر ومفارش بيضاء وحمراء متقاطعة. وبعد الغداء تناولا القهوة.

كان والدها طوال الوقت يحني رأسه بالتحية لعدة زبائن كانوا يتطلعون إلى طاولتهما. وقال جورج برضى، وهو يغمز لها:

ـ إنهم يتساءلون من أين حصلت على هذه الفتاة الجميلة في عمري هذا.

لا بد أنهم يعرفون أنها ابنته، وقد بدأت تتعرف على هؤلاء الناس! الإشاعة هنا تسافر بسرعة الضوء. ما إن يُهمس بسر في أحد أطراف الوادي عند الإفطار، حتى يصل إلى الطرف الأخر عند الغداء.

هل الكل هنا يعرف عن والدها وبيتي ميلمان؟ أو على الأقل يتكهنون هذا. واذا لم يعرفوا فكيف استطاعا ان يخفيا علاقتهما سراً

www.elromancia.com

طول العديد من السنوات؟ أم أن الجميع يأخذون علاقتهما كأمر مُسلم به بعد هذه المدة الطويلة؟ وهل جعل الزمن من هذه العلاقة مقبولة؟

وأوصلها والدها، إلى بعد نصف ميل من قصر ميلمان، كان يريد ايصالها إلى قرب المنزل، ولكن الوقت كان باكراً، وأحبّت أن تتمشى قليلاً لتصل في الوقت المحدد.

ونظر والدها إلى الغيوم الكثيفة في السماء وقال «تبدو السماء مكفهرة» وردت عليه بيقين «لن تمطر قبل أن أصل الى هناك».

ـ ربما.. اتصلي بي وسآتي لاحضارك بعد تناول الشاي.

وأدار السيارة ثانية ونظر اليها قائلاً «متعي نفسك» ولكن ما عناه في الحقيقة أن كوني لطيفة مع السيدة ميلمان.. فابتسمت له دون ان تعده، وابتعد. وسارت ببطء. تنظر بإعجاب الى الوان الجبال الخضراء والبنية التي تلامس السماء. وكانت الغيوم تتجمع، رمادية، رطبة، واعدة بالمطر.

وتوقفت تراقب نعجة [illegible] تسلق الجدار، ثم تفشل وتقع. إنها دائماً تحاول الهروب نحو الطريق، كما يقول والدها «إنها مخلوقات غبية» كل مرة كان يتلقى نبأ حادث لها «لا أعلم لماذا لا أتخلى عنها وأربي الطيور».

ولم تنظر في ساعتها إلا بعد أن أصبح قصر ميلمان على بعد نظرها. واستغربت كم استغرقها من الوقت لتسير النصف ميل هذا. ستتأخر! وأسرعت الخطى، وأقبلت سيارة مسرعة باتجاهها. إنها سيارة روك، وتوقف أمامها بسرعة ومال ليفتح الباب «ادخلي».

ـ أستطيع إكمال الطريق سيراً. يبدو أنك مستعجل.

ـ كنت مستعجلاً لأبحث عنك! عندما تأخرتي اتصلت بالمنزل وقال والدك إنه أوصلك إلى مفترق الطريق.. اين كنت؟

ـ كنت أتمتع بالمناظر.

ـ ولست مستعجلة للوصول؟

ـ لم ألاحظ الوقت!.

ـ أهكذا تحافظين على وعودك، بالكلمات لا بالروح؟

ـ وماذا عنك هل وفيت بوعدك؟ هل تكلمت مع اختك؟

ـ اجل..

ـ وهل أقنعتها؟

ـ هل تريدين أن تصعدي؟ فمحرك السيارة يعمل وأنا أصرف الوقود سدى. نستطيع الكلام في الطريق.

وصعدت السيارة على مضض، واستدار روك على الفور وتوجه نحو المنزل بسرعة كبيرة. وقال وهو ينظر أمامه:

ـ لقد كانت كارلا بمزاج سيء عندما تكلمت معها.

ـ يبدو ان هذا مزاجها العادي. وأنا غير مندهشة، ولكن هل صدقتك؟

ـ بصراحة.. لا.

ـ وماذا قلت لها؟

ـ قلت لها ما أردتني أن اقول... عدة أكاذيب!

ـ أوه.. حسناً.. أنت لم تحاول أن تكون مقنعاً حتى..

وضغط روك على مكابح السيارة بقوة، حتى أنها كادت تصطدم بالزجاج الأمامي، وعندما استعادت أنفاسها التفتت إليه لتصب عليه جام غضبها:

ـ أيها المهووس! لقد أخفتني حتى الموت! ألا يكفيك حادث سيارة واحد؟

ـ الآن انظري إليّ.. لقد حافظت على وعدي وتكلمت مع أختي، وقلت لها كل ما طلبت مني أن أقول. وهل أستطيع منعها إذا لم تصدق؟

. كانت كارن تشعر بأن الخطأ خطأه بطريقة ما، مع أنها لا تستطيع إثبات هذا «وماذا قلت لها بالضبط؟». . «لم أقل الكثير».

ـ لا بد أنها قالت شيئاً؟

ـ لقد ضحكت.

ـ ضحكت؟

وهز رأسه «ضحكت في وجهي!».

إنها انباء سيئة، ولم تعجب كارن، إذا كانت كارلا قد ضحكت في وجه أخيها، فهذا يعني أنها لم تصدّق كلمة مما قاله.

وضحك روك، ضحك عالياً، وهو يعود لقيادة السيارة نحو المنزل، وجلست كارن الى جانبه ترتجف من الغضب.

عندما خرجت من السيارة، ظهرت السيدة ميلمان عند السلم، ووجهها قلق «وجدك روك!. . . هذا جيد. . لقد قلقنا عليك! هل ضعتي؟».

ـ أنا آسفة، كنت أسير على الطريق، المناظر جميلة جداً. . .

وابتسمت لها السيدة ميلمان ابتسامة مشرقة، وهزت رأسها.

ـ طالما ضعت وأنا أسير في الطريق، أتمتع بمنظر التلال.

وسحبت كارن إلى المنزل وهي تتحدث عن مواقع الجمال المفضلة لديها وابتسمت لها وهي تقول «أنا سعيدة جداً بقدومك، كارلا خرجت وروك ذاهب إلى القرية ليشتري شيئاً، لذا سنكون لوحدنا، أتمنى أن لا تضجري!».

وارتاحت كارن بعمق لأن روك لن يكون موجوداً، وقالت «بالطبع لن اضجر!» وتبعت السيدة ميلمان إلى الغرفة، حيث سألتها السيدة ميلمان:

ـ كيف حال خطيبك؟

وأومأت لها لتجلس إلى مقعد مريح قرب الطاولة، التي وضع فوقها

الشاي وسندويشات خفيفة، وبعض الحلوى، والبسكويت المنزلي.

إنه افضل بكثير، شكراً، آمل أن يخرج من المستشفى بعد أسبوع.

ووجدت كارن أن التحدث مع السيدة ميلمان ممتع أكثر مما توقعت، لأنهما وحيدتان، وليس عليها ان تتذكر دائماً أسباب كرهها لها. غياب روك جعلها تشعر بالراحة بشكل غريب. وأجابتها بيتي ميلمان:

ـ أوه. . هذا جيد. . من دواعي الاسف أن تحصل حادثة عند تمضية عطلة، وبعد قطع كل هذه المسافة! لا بد أن الرحلة كلفتكما كثيراً.

ـ لقد سافرنا بالدرجة الاقتصادية. كلانا لا يملك الكثير من المال. . .

وتحدثت السيدة ميلمان لعدة دقائق، حول العطل، ثم نهضت قائلة «سأحضر الشاي. . . اعذريني للحظة».

وتجولت كارن في الغرفة حتى وصلت إلى حقيبة مليئة بالكتب، كان فيها عدة كتب مهمة ومختلفة، فالتقطت أحدها، عندها دخلت السيدة ميلمان ومعها صينية، عليها إبريق شاي، ووعاء سكر من الصيني المرسوم بالزهور، وفناجين من نفس الطقم.

والتفتت كارن بسرعة وفي يدها كتاب، وظهر على وجهها الاعتذار:

ـ آسفة. . لم أستطع مقاومة الفضول. . .

ـ ابداً. . لا تهتمي. . أنا مثلك تماماً. . عندما ارى الكتب في أي منزل لا أستطيع سوى أن أنظر فيها. إنها تشير إلى شخصيات البشر. تستطيعين معرفة الكثير عن شخص ما مما يقرأه. أليس كذلك؟.

www.elromancia.com

وصبت الشاي، وجلست كارن ثانية، وأخذت منها فنجان الشاي وقطعة سندويش صغيرة. وسألتها وهي تتناول بعض مربى الفريز «هل صنعت هذا بنفسك؟».

ـ أجل صنعتها بنفسي فأنا أحب الطبخ، صنعتها من الفريز الخاص عندنا.

ـ لقد شاهدت عدة كتب طبخ لديك. ويظهر أنك تحبين الروايات الرومانسية.

ـ هل تحبينها أنت؟

ـ أجل أحبها كثيراً... ماذا تفضلين منها «جين آير» أو «مرتفعات ويذرنغ»؟

ـ أوه.. يا للسماء! ما هذا السؤال.. حسناً..

وأكملت حديثها، وتناولت كارن قطعة حلوى بالشوكولا، وتحدثتا بحرية وراحة بعد هذا، حول مواضيع عادية، لا تتطرق إلى مواضيع حساسة، الحديث عن الكتب كان الأسهل من بين ما تفضلان. ولم تذكرا أبداً جورج كارداس ولا روك.

ودخل جوش بعد ساعة، والتفتتا إليه وهما تضحكان، وتوقفت كارن عن الضحك عندما شاهدته.

ـ لقد عدت باكراً، هل اشتريت الأدوات التي تحتاجها؟

ـ البعض منها..

ونظر إلى كارن مستغرباً تعبيرها البارد. وكرهت كارن هذا الصوت الناعم، والسخرية التي يحملها. فنظرت إلى ساعتها ثم وقفت:

ـ يجب أن أذهب.. شكراً لك على الشاي سيدة ميلمان!

ـ ناديني بيتي يا كارن، وشكراً لقدومك، لقد جعلت بعد الظهر هذا سعيداً لي.. يجب أن نتحدث عن مؤلفينا المفضلين ثانية.

ـ سأوصلك أنا...

ـ أفضّل السير، شكراً. أحتاج إلى تمرين.. سأراك ثانية يا سيدة... بيتي!

ونظرت السيدة ميلمان بقلق الى السماء «لقد حل الظلام، ويبدو أنها ستمطر» وقال روك «ساوصلها» ولكن كارن بدأت السير نحو الطريق، وقد تملكها الغضب لطريقة تحدثه عنها وكأنها طفلة وبحاجة إلى حماية هذا المهووس الإقطاعي. لقد شاهدت طريقة إلقاءه الأوامر على أخته، وحاول أن يفعل الشيء نفسه معها عدة مرات حتى الآن. ولن تتحمل منه هذا.

وقال لها وهو يمر بسرعة بسيارته من أمامها «افعلي ما تشائين!».

وراقبت اضواء سيارته الخلفية تختفي في الظلمة وشعرت بالغباء. فالطريق طويل إلى المزرعة، وكان أكثر تعقلاً لو أنها قبلت أن يوصلها، ولكنها قطعت عهداً على نفسها أن تتجنبه، وسوف تحافظ على هذا الوعد.

وما إن سارت عشر دقائق حتى انهمر المطر. بدأ بقطرات صغيرة، ثم انهمر بقوة، مغرقاً إياها، محولاً شعرها الأحمر إلى أسود، والتصق بشعرها وكأنه قبعة، وتبلّلت ملابسها وبدأ الماء يدخل إلى قدميها عبر حذائها.

لم يكن هناك مكان تلتجيء اليه، وكان عليها أن تستمر بالسير وأحنت وجهها من الريح والمطر، وهي تصلي حتى يعود روك إليها. لا بد أنه يعرف أنها على وشك الغرق، تقاوم ريحاً تهب في وجهها مباشرة... فهل سيعود لإنقاذها؟

وشاهدت أمامها أنوار سيارة قادمة، فتنهدت بارتياح عندما خففت سيرها، ونظرت إلى داخلها، ولم يكن روك بل غريب أضخم منه وأقصر «إنها ليلة سيئة للتمشي، هل ترغبين بإيصالك؟».

www.elromancia.com

وترددت كارن محاولة التعرف عليه وبدا عليه أنه طيب فقالت «شكراً» على كل كانت مبللة ومرهقة بعد هذه المعركة مع الطقس.. وركبت معه، وتابع سيره وهو يسأل «أين أوصلك؟» وعندما قالت له، نظر إليها بسرعة وقال «آه.. أنت ابنة جورج كارداس! أليس كذلك؟ لقد سمعت أنك عدت. أراهن أن ليس هناك عواصف كهذه في استراليا!».

وضحكت، فالطقس في استراليا أسوأ بكثير من هذا الطقس، في الواقع، وشعرت بالراحة لأنه يعرف والدها، على الاقل لم تركب مع غريب. وسألته عن اسمه وأين يسكن، وما إن انتهى من كلامه حتى وصلا إلى الطريق الموصلة الى المنزل، وكانت سيارة تخرج من مدخل الطريق.. فقال لها الرجل:

ـ لا بد أن جورج قد خرج يفتش عنك.

ـ لا.. إنه روك ميلمان.

وخرج روك من سيارته وفتح الباب بجانبها وقال:

ـ لقد كنت قادماً لأحضرك.. شكراً بوب... لطف منك أن وقفت لها..

وأمسك بيدها وركض إلى سيارته وأدخلها بقسوة، وأغلق الباب ثم جلس في مقعده إلى جانبها. واستدار لينظر اليها، وقد بدا الغضب على وجهه.

ـ هل قابلتيه من قبل؟

ـ لا.. أنستطيع أن نذهب الآن، لقد ملأت فرش السيارة بالماء.

ـ وهل دخلت سيارة غريب وتركتيه يأتي بك إلى هنا؟

ـ لقد كنت مبللة، وما زلت، وأحب أن أذهب إلى المنزل لأغير ملابسي. أرجوك..

ـ لقد رفضت عرضي لتوصيلك، ثم ركبت سيارة غريب؟

هل تجد صعوبة في فهم ما هو واضح؟

ـ أنت اكثر فتاة غبيّة، والأكثر إثارة للغضب صادفتها في حياتي!..

وهزها الغضب ولم ترغب في أن يقول عنها هكذا، فصرخت به.

ـ لا تصرخ بي! الناس يروون لي عن ذلك المخلوق الخرافي الذي يسمونه أبله يوركشاير، أعتقد أنه انت؟ حسناً لقد اكتفيت من إهاناتك وملاحظاتك الشخصية حولي، لذا إما أن تأخذني إلى البيت فوراً أو فسأخرج تحت المطر ثانية. أفضل العودة سباحة على الجلوس معك وأنت تهينني...

ـ أميل إلى تركك تسيرين ايضاً!

وامسكت كارن مقبض الباب، بالرغم من أنها خافت من الخروج ثانية تحت هذا المطر الكثيف. فقال:

ـ ولكنني تركتك تسيرين تحت المطر من قبل، ثم وجدت نفسي أعود لأبحث عنك.. لذا فمن الأفضل أن أوصلك إلى البيت.

واستدار بالسيارة بعنف، حتى أنها مالت نحوه، والتصقت به. وشعرت بالتوتر وهي تعود إلى جلستها، متجنبة نظرته الغضبى.

وقاد روك السيارة إلى المزرعة بسرعة هائلة، وأوقف السيارة بنفس السرعة التي كان يقودها بها، واستدار ليواجهها، وعيناه مخيفتان وشديدتا السواد. فهمست برعب «لا تفعل!» وارتجفت بعجز. لم تكن في حياتها خائفة هكذا، وأخذ روك ينظر إلى وجهها، ثم استدار ووضع كلتا يديه على المقود، وجسده متصلب من التوتر.

وخرجت كارن من السيارة وأسرعت هاربة وكأنما يلاحقها عدو قاتل...

* * *

www.elromancia.com

٧ ـ عمري الذي ضيّعته

خلال الأسبوع الذي تلا، مر الوقت بسرعة. وانتهى تصليح السيارة، واستعادتها كارن، لذا فقد استطاعت أن تذهب بمفردها الى المستشفى كل يوم لرؤية تشارلز، ولكن لما تبقى من النهار، لم يكن لديها ما تفعله، وحاولت أن تشغل نفسها، واخذت تخرج مع والدها وهو يعمل قرب المنزل، لتراقبه وتساعده فيما تستطيع عمله. عندما لم تكن تستطيع الذهاب معه كانت تعمل في المنزل، تطبخ أو تحفظ بعض فاكهة الخريف في المرطبانات، كبوش العليق، والبرقوق، والتفاح البري والإجاص. . .

ولم تشاهد روك طوال الأسبوع، ولكن بيتي ميلمان، أتت لزيارتها في أحد الأيام وجلبت لها بعض العنب الذي ينمو في الداخل، في قصر ميلمان. وقالت إن هذا النوع من العنب ينمو داخل الأسوار في بيوت زجاجية، وإن زوجها زرعه عندما تزوجا.

واستطاعت كارن أن تلاحظ وجه والدها عندما وصلت بيتي، فقد أضاءت عيناه، وانثنى فمه بحنان جعلها تصبح واثقة أنه يحب بيتي.

وراقبت بيتي تتحدث اليه، ولكنها لم تكن واثقة من مشاعرها، ربما العطف.. أجل، كان ظاهراً، ولكن هل هناك أكثر من هذا؟

وسألتها «هل عادت ابنتك إلى الكلية؟»

وهزت بيتي رأسها وهي تتنهد «ليس بعد، يمكنها أن تكون صعبة المراس» وسألها جورج «هل لا تزال تتشاجر مع روك؟» وابتسمت له بيتي ابتسامة قلقة «أجل.. هذا ما يحصل!» فقال لها ثانية: «يجب أن يكون روك أكثر تفهماً!» وضحكت كارن وقالت «وهل يطير الفيل؟» ونظرت إليها بيتي نظرة ذهول وبدا والدها مصدوماً. «كارن؟».

ـ أنا آسفة.. ولكن هذا صحيح.. توقع تفهم روك، سيكون مثل الطلب من الفيل أن يطير.. إنه لا يفهم النساء، ولن يفهمهن أبداً.

ـ لا تظني به هكذا؟

وتطلعت بيتي بها. فقالت كارن بشكل اكيد:

ـ حسناً، لا أتوقع أن توافقي على رأيي، فأنت أمه. ولكن لا يدهشني أن يحاول إثارة أخته، ومضايقتها، حتى تتشاجر معه طوال النهار لو كنت مكانها لفعلت نفس الشيء.

وسألتها أمه «وهل تتشاجرين معه كثيراً؟» واحمّر وجه كارن، وأبعدت عيناها المضطربتان عن نظرة بيتي ميلمان المتسائلة.

ـ عندما يحاول معاملتي بشراسة.. أجل! ربما لأنني ربيت في بلد آخر، له عاداته وتصرفاته المختلفة، ولكنني لا أطيق رجلاً يعطيني الأوامر.

ـ أوه يا عزيزتي، أستطيع أن ألاحظ أن روك عاملك معاملة سيئة.

وعندما غادرت، قال لها والدها بطريقة عفوية:

ـ انا سعيد جداً لأنك وبيتي قد تحسنت علاقتكما. كنت واثقاً أنك ستحبينها عندما تعرفينها جيداً.

وابتسمت كارن، والعطف في عينيها. لقد تأكدت الآن أكثر أن والدها يحب بيتي، ومتأكدة تقريباً أن بيتي لا تبادله هذا الشعور. فعاطفتها نحوه أخوية. ربما كانت معجبة به، ولكن لا تحبه ابداً. والدتها كانت مخطئة، أو نصف مخطئة! وقالت «أحببت بيتي كثيراً» وتهلل وجه أبيها بالسعادة.

ـ هذا جيد... وربما يوماً ما سيعجبك روك.. أيضاً!

كان من المتوقع أن يخرج تشارلز من المستشفى قريباً. وفي اليوم التالي بقيت كارن قريبة من الهاتف في حال اتصلوا بها لتخرج تشارلز.

وكان الطبيب الإخصائي سيزوره ذلك الصباح. وقالت لها مسؤولة القسم إنه قد يقرر أن يترك تشارلز يعود إلى المنزل.

كانت تشعر بتوتر غريب وهي تنتظر الهاتف أن يرن. فمن ناحية كانت تنتظر تشارلز لينضم إليها ليكملا عطلتهما ومن ثم حياتهما معاً. ومن ناحية أخرى، ستشتاق لأبيها كثيراً. لقد أحبت المزرعة والأرض التي تطل عليها كل صباح عندما تستيقظ، وشعرت بالقلق لاضطرارها لمغادرة هذا المكان مع تشارلز. من الجنون القول إنه يبدو لها الآن كالغريب، ولكن شيئاً ما حصل لهما معاً منذ الحادثة، والفترة التي قضاها في المستشفى قد ابعدتهما عن بعض بطريقة ما. لقد عاش تشارلز تجربة لم تشاركه فيها، وفي نفس الوقت كانت هي تستعيد طفولتها التي لا يعرفها، وتعيد اكتشاف والدها. وتدرك أنها تنتمي إلى هذا المكان. واكتشفت الكثير عن نفسها أيضاً. لقد اصبح بينهما نوع من الحاجز لا تعرف معناه. هما لا يزالان يحبان بعضهما كما كان الحال دوماً. ولا تستطيع تخيل الزواج من شخص آخر غيره، ولطالما قال اصدقاءهما إن هذا الزواج من صنع السماء، قدرهما!

وصنعت لنفسها بعض القهوة، ما عليها سوى الانتظار!.. بعد ربع ساعة.. كانت تغسل فنجان القهوة، عندما دخل روك الى المطبخ. ونظرت كارن من فوق كتفها، ولاحظت أن مزاجه اليوم سيء لدرجة أنه لم يهتم بمظهره. ولم تستطع أن تتجنبه فهزت رأسها محيية.

وأجابها روك بهز رأسه ايضاً. وقالت له:

ـ ابي ذهب إلى لارك ميدو إذا كنت تريده.

ـ لقد أتيت لرؤيتك.

واخذت تجفف يديها وتحاول أن تظهر بأنها مشغولة.

ـ أنا آسفة، مشغولة جداً وليس عندي وقت للحديث. سأكون مضطرة في أية لحظة للذهاب إلى المستشفى لإحضار تشارلز.

ـ لا.. لست ذاهبة!

وجعلها صوته الجاف تتراجع، ورمت المنشفة من يدها. وحدّقت به وقالت:

ـ مهما كنت ستقول، يجب أن تنتظر. سيتصلوا بي في أي لحظة الآن. وعندها سأذهب إلى المستشفى.

ـ لقد غادر خطيبك المستشفى.

وتطلعت إليه دون أن تفهم «ماذا قلت؟».

ـ لقد غادر المستشفى منذ ساعتين.

ونظرت كارن إلى الباب، وكأنها تتوقع أن يدخل تشارلز منه.

ـ لا.. إنه ليس هنا!

ـ أين هو إذاً؟.. ماذا حدث؟ لماذا غادر المستشفى دون إعلامي؟

ـ لا أعرف أين هو.. ولكنني ساجده، وعندما افعل.. ساكسر عنقه!

العنف في كلماته جعل كارن تبتعد عنه مذعورة، وبدا في عينيها الرعب «عن ماذا تتحدث؟».

ـ لقد هرب! وأخذ معه شقيقتي!

وجمدت في مكانها، واتسعت عيناها وهمست:

ـ هرب؟ تشارلز؟ ولكن أين ذهب؟ لا أفهم عن ماذا تتحدث؟ وما دخل شقيقتك بتشارلز؟

ـ لقد قلت لك.. لقد.. هربا.. معاً.. كارلا وذلك الوغد..

ـ لا أصدقك!

ولكنها بدأت تشعر بالبرد، وفقد وجهها كل لونه، وأظلمت عيناها من الخوف. وتنهد روك من الغضب:

ـ أتمنى أن لا يكون الأمر حقيقياً ايضاً! الله يعلم! ولكنها الحقيقة. لقد علمت بالصدفة. لقد جرح الراعي عندي يده وأرسلته إلى المستشفى وعندما عاد ذهبت إلى منزله لأزوره، وذكر أنه شاهد كارلا تقود السيارة خارجة من المستشفى. وهذا ما أزعجني، لأنها لم تذكر أنها ذاهبة إلى هناك.

ـ ولكنك قلت إنها ذهبت مع تشارلز!

ـ لقد فعلت.

ـ ولكن كيف عرف الراعي هذا؟ إنه لا يعرف تشارلز!

ـ لم يعرف الرجل الذي كان معها، كل ما عرفه أن رجلاً كان معها. ولكن زوجته رأت كارلا وهي تخرج معه من القسم.

ـ ولكن لماذا تصورت أنه تشارلز؟

ـ لقد اتصلت بالمستشفى! وقالوا لي إنه قد غادر مع كارلا.

وتطلعت إليه، ومعدتها تتقلص. وسمعت صوت الماء ينقط من الحنفية، وفي الخارج سمعت صوت طير يغني، ولكنها شعرت وكأنها مسامير تغرز في لحمها. وقالت بصوت رفيع جاف، عبر شفتيها الشاحبتين المرتعدتين:

www.elromancia.com

ـ إذاً.. ستأتي به إلى هنا!

وراقبها روك وهو يهز رأسه، ولمحت نظره شفقة في عينيه، وجعلها هذا تتوتر أكثر وصرخت بيأس:

ـ يجب عليها أن تفعل هذا.. سيحضران عما قريب.. أنت مجنون.. كي تظن هذا.

ـ لقد اتصلت بمدير المستشفى، وسألته عن كارلا، فقال لي إنها أخذت خطيبك وذهبت، وبدا له الأمر طبيعياً لأنه يعرفنا ويعرف والدك.

ـ ولماذا لا تذهب؟ ربما كانت تزور المستشفى صدفة وعلمت أن تشارلز سيخرج، فأخذته معها.. ربما تزور أحداً الآن، أو ربما سارت في طريق طويلة. دون أن تعلم ان تشارلز يجب أن يرقد في الفراش فوراً...

ـ هذا ممكن... ولكنه ليس الحقيقة...

ـ وكيف تعرف؟

وأخرج روك رسالة من جيبه، وتركزت عيناها عليها. ووجهها يشحب أكثر. وقال:

ـ لقد اعطت كارلا هذه الرسالة للممرضة، وأعطوني إياها عندما ذهبت الى المستشفى.

وأعطاها الرسالة، ولكنها لم تأخذها.

ـ لا أريد أن أقرأها.. ماذا تقول فيها؟

ـ إنها ليست موجهة لي، وليست من كارلا..

ودفع الرسالة إليها فأخذتها وهي ترتجف، وأدارتها بين يديها.. «لقد فتحتها!» وقال ببرود «وقرأتها ايضاً! كان يجب أن أعرف ما كُتب فيها».

وفتحت كارن الرسالة ونظرت اليها، والى الخط المخربش فيها.. كانت في حالة يائسة حتى أنها لم تفهم كلمة واحدة من أصل ثلاثة ولكن كلمة «أنا آسف» ترددت في عقلها مرات ومرات.

ـ تقول انهما يحبان بعضهما...

ـ أعلم..! تذكري أنني قرأتها.

ـ وأنهما سيتزوجان فوراً.

ثم بدأت تضحك بمرارة وسخرية «لقد كنا مخطوبين لأكثر من سنة! ولأسباب مختلفة أجّلنا الزواج.. وكنا سعداء لهذا الانتظار، فأمامنا العمر كله.. ولكنه يريد الزواج منها فوراً!».

ـ إلا اذا استطعت منعهما...

ـ ولكنني لا أفهم شيئاً.. بالكاد يعرفان بعضهما! لقد بقي في المستشفى منذ وصولنا إلى هنا، وكنت أزوره كل يوم، فكيف وقعا في الحب؟

واسوّد وجه روك بالغضب:

ـ لقد كانتْ تزوره يومياً ايضاً. منذ أن اخذت له تلك الزهور. لا بد أنها احبته من النظرة الأولى.. يا إلهي.. لو أنني عرفت لأسرعت في إرسالها إلى الجامعة قبل أن تطأ قدميها الأرض. ولكنها تعرف كيف سأشعر عندما أعرف. وقد جاهدت كثيراً في اخفاء ما ستفعله. يبدو أنها خططت لهذا الهرب، وقد لا تكون غلطته بل غلطتها هي. ولكن كيف يستطيع أن يرميك لأجل فتاة في الثامنة عشر؟ الله وحده يعلم!

كلمة يرميك جعلت كارن تجفل. وازداد شحوبها واسوّدت عيناها من الألم.

ـ لا بد أنه تعرض للإغراء.. معظم الرجال هكذا.. وكارلا جميلة، حتى ولو كانت طفلة، لا بد أن رميها نفسها عليه قد أدار رأسه. ولكن هذا ليس عذراً لما فعله، إنه أكبر منها بسنوات ويجب أن يكون أكثر وعياً من هذا بكثير.

www.elromancia.com

وعلا وجه كارن موجة عنيفة من الاحمرار وهي تفكر.

ـ اوه.. لقد اهتمت فعلا بأن تحصل عليه... أليس كذلك؟

ـ إنها في عمر سريع التأثر، لأنها ترى الاشياء من زاويتها هي.

ـ لا تلقي اللوم على عمرها.. إنها من عائلة ميلمان.. ولهذا فعلت ما فعلت! إنها ابنة أمها.. إنها نفس الطراز أليس كذلك؟ لقد سرقت أمك أبي، مع أنها لا ترغب به حقاً! ولا أعتقد أنها المرة الأولى التي تجري فيها شقيقتك وراء رجل لفتاة أخرى. لقد كان مريضاً ولم يعد بعد الى طبيعته ولا يعرف ماذا يفعل. لقد سحرته ليذهب معها.. إنها.. ليست غلطة تشارلز، إنها غلطتها.

كانت تتحدث بصوت مرتفع، وعيناها محمومتان وجسدها يرتجف، بينما روك يركز نظره عليها، وقال بقسوة:

ـ لقد أصبحت هستيرية.. توقفي عن الحديث هكذا!

ولكنها لم تتوقف، واستمرت الكلمات تتدفق منها، واحتارت بنفسها لماذا تشعر بهذا الغثيان والغضب. لم تكن تدري إذا كان هذا الألم لأجل والدها أم لأجل تشارلز كل ما شعرت به صدى الخيانة القديمة في أذنيها.

ـ أعرف الآن كيف شعرت أمي! عندما أتذكر كم كنت أضجر من سماع قصتها.. ولكنني لم أكن أعرف!.. لم يكن يجب ان أعود. كم كنت غبية لأنني لم أفكر بأنها تزوره طوال الوقت وأنها كانت تخطط لسرقته مني، كما سرقت أمك أبي...

وصفعها روك على وجهها، فتوقف جنونها فورا، وشهقت. ثم انهمرت دموعها، وأمسكها روك، ولف ذراعيه حولها، وبدأت تبكي، وتهتز بالنشيج.

وتركته يحضنها، ودفنت وجهها في صدره، ويده تمسك بمؤخرة

رأسها، وتتحرك ببطء، ولطف تمسح شعرها، وهو يواسيها، بينما بكت بكل الغضب والألم الذي جعلها قريبة من الهستيريا.

وبالتدريج توقفت عن البكاء، ولكنها لم تتحرك، وبقي وجهها مخبأ في صدر روك، وكافحت لتسيطر على تنفسها، ومدت يدها لتمسح الدموع عن وجهها وتنهدت بحسرة. وأمسكت يده بقبضة من شعرها وأرجع رأسها إلى الوراء. فصاحت «لا تفعل هذا! إنك تؤلمني!».

ـ ألم يحن الوقت بعد لتكوني صادقة مع نفسك.

ـ لا تتكلم معي عن الصدق. أي إنسان من عائلتك لا يجب أن يذكر الصدق والشرف لواحد من عائلتي!

ـ ولكنك لا تحبينه!

ـ اتركني!

وأخذت تقاومه، وجمعت يديها وأخذت تضربه. واضطر الى ترك شعرها، ولكن ليلف كلا ذراعاه حولها. فصرخت به بغضب:

ـ أنت... أنت.. ميلمان... توقف عن لمسي هكذا، أنا أكرهك!

ـ لا.. أنت لا تكرهيني.. ولا تحبينه أيضاً!

ـ أتظن أنني لا أعرف ماذا تفعل؟ تريدني أن أتخلى عن تشارلز دون ان أحتج، فشقيقتك الصغيرة تريده. لذا يجب إقناعي بأنني لم أحبه أبداً. يجب أن نسّهل الأمور على كارلا.. اليس كذلك؟ إنها من عائلة ميلمان، وآل ميلمان يجب دوماً أن يحصلوا على ما يريدون!

ـ لا بد أنك كنت معجبة به، أنا أكيد من هذا، ولكن الحب يختلف يا كارن، وانت تعرفين هذا، لذا توقفي عن الكذب على نفسك، حتى ولو اضطررت للكذب عليّ.

ـ لا تتحدث معي عن الحب!

ـ ولماذا لا؟ لماذا لا يجب أن اتكلم عن الحب يا كارن؟

لماذا أنت خائفة هكذا؟

ـ كلكم سواء، أنت ميلمان، أليس كذلك؟

ـ عاجلاً ام آجلاً ستواجهين الحقيقة.

وحاولت التخلص منه، ولم تستطع، فقد أبقتها ذراعاه أسيرة. ولم يكن يؤذيها، وتمنت لو أنه يفعل، سيسهل هذا عليها المقاومة. ولكنها أجبرت نفسها على مقاومته للتخلص من ذراعيه. وكانت تقاوم لتتحرر من مشاعرها أيضاً، فقد كرهت أن يعرف روك أنه هزمها.

وقالت وهي تشدّ نفسها من رأسها الى قدميها.

ـ اتركني!.. لا أريدك أن تلمسني.. إنك مثل بقية عائلتك!

ـ وبماذا تتهمينني الآن؟

ـ لا تظن أنك خدعتني ولو للحظة، ومنذ البداية.. لقد كنت واضحاً جداً! منذ عرفت أنني مخطوبة.. بدأت تطاردني، كما طاردت شقيقتك الصغيرة تشارلز.. إنكم كلكم سواء، أنتم ميلمان.. فأنتم دوماً تظنون أن العشب أكثر اخضراراً في الناحية الأخرى من الجدار! إنكم دائماً تشتهون ما يملكه الآخرون!

ـ توقفي عن قول هذه السخافات.

ـ إنها ليست سخافات، إنها حقيقة ولا فائدة من إنكارها! لقد عبثت أمك مع أبي، ولكنها لم تتزوجه. وعرفت أنني مخطوبة، ومع ذلك حاولت العبث معي، وشقيقتك تعرف أن تشارلز لي.. ولكنها عبثت معه!

والفارق الوحيد بينكم أن تشارلز وقع، وهرب معها. ولكن كم سيدوم الأمر؟ هل ستضجر منه حتى قبل تحديد يوم الزفاف؟

ـ وماذا لو ضجرت؟

ـ ماذا لو ضجرت؟ ستكون قد تسلّت معه، ثم تتخلى عنه، وتعود

إلى المنزل.. تجر أذيالها خلفها!

واخذت تضحك بجنون، وراقبها روك بقلق.

ـ لم اعني هذا! لو تركته، هل ستعودين إليه؟ هذا ما أردت أن أعرفه!

لم تفكر من قبل بهذا الأمر، وعرفت أنها لن تعود إليه، ولم تعد تريد أن تراه ثانية، لقد أذلها، خانها، كما خان والدها والدتها. ولن تستطيع أبداً أن ترى وجهه ثانية. ولكنها أجابته.

ـ هذا أمر لا يعنيك!...

ونظر إليها طويلاً، ثم تركها ودار على عقبيه وخرج من المطبخ إلى الحديقة. لو أنه صفق الباب وراءه لشعرت بشيء من الانتصار، ولكنه لم يفعل، وأغلق الباب وراءه بهدوء.

وتركها وهي تشعر بالبرد والتعب.

* * *

٨ ـ كارن تواجه الحقيقة

الصدمة كانت كبيرة على كارن، فلم تعد قادرة على التفكير بوضوح. وبعد أن ذهب روك، صعدت إلى غرفتها وبدأت تحضر حقيبتها للسفر، فلديها السيارة. وتستطيع أن تكون على بعد أميال في بضع ساعات، وعندها لن تكون بحاجة لتحمل الشفقة والعطف من أبيها، وبهذا تترك كل هذه التشويشات وراءها.

ولكنها لم تستطع أن تقر رأيها، بل كانت تغير خططها كل خمس دقائق، وهي تجلس في غرفة نومها، وحقيبتها مفتوحة فوق السرير. ماذا عليها أن تفعل؟ يجب أن تقرر!

وقالت لنفسها: فكري! ماذا يجب أن أفعل؟ هل أبقى هنا... ام أسافر؟ وبعد ذلك، لو غادرت يوركشاير، هل تتابع رحلتها المقررة حول أوروبا، وتزور كل الأماكن التي حلمت بها مع تشارلز لأشهر طويلة، والتي ستراها الآن لوحدها؟ ام أن عليها أن تطير رأساً عائدة إلى استراليا؟

ونظرت إلى حقيبتها وهي تعض شفتها. كيف ستذهب إلى سيدني وإلى وظيفتها في المؤسسة، وترى أصدقاءها القدامى مجدداً، بعد أن تخلى عنها تشارلز؟ سيكون هذا إذلالاً لها، قد يظهرون التعاطف في

وجهها، ولكن بعضهم سيضحك من وراء ظهرها، أو، على الأقل، سيتهامسون ويطلقون الإشاعات. ولن تعرف ماذا ستكره أكثر، الشفقة ام الهمس السري.

وهناك سبب آخر لكراهيتها للعودة. لا بد أن تشارلز سيأخذ كارلا معه إلى سيدني بعد أن يتزوجا. وأين سيذهبان غير هناك؟ فوالدا تشارلز هناك، لقد تطلعت دوماً للسكن قرب أهله، لقد كانت مولعة بهما، عندما يسمعان النبأ سينزعجان كثيراً، ويشعران بالأسف عليها والغضب على تشارلز لأنه هجرها.

صوت إغلاق الباب في الطابق الأسفل، جعلها تجلس، ووجهها شاحب، هل هذا والدها؟ لم تكن تتوقع قدومه بهذه السرعة!

ـ مرحباً؟.. هل هناك أحد هنا؟.

إنه صوت بيتي ميلمان، وعبست كارن، ولم تجب، آملة ان تذهب المرأة المسنة عنها. لا بد أن روك اخبرها. ولا بد أنها قلقة على ابنتها، ولكن لماذا أتت الى هنا؟ وماذا تريد؟

ربما أتت لتخفف عني، وتجعلني أسامح ابنتها، وأن أعدها بألا اثير فضيحة، قد تسبب المشاكل لعائلة ميلمان!

ـ كارن.. هل أنت هنا...

وسمعت صوت أقدام تصعد الدرج، ونزلت كارن عن السرير، وأقفلت حقيبتها، ورمتها مع الثياب في الخزانة، وأقفلتها. لم تكن تريد أن ترى بيتي ميلمان أنها قد بدأت توضب ثيابها او أنها كانت تفكر بالسفر.

ليس السفر فقط، بل الهرب! أليس هذا ما ستفعله لو أنها غادرت المنزل الآن؟ لقد هربت أمها من قبل، الى الجهة الأخرى من العالم.. وماذا أفادها ذلك؟ لقد خسرت سنوات من عمرها في المرارة، وكارن لا تريد أن تفعل نفس الشيء. لقد رأت بعينيها نتائج

التصرف بشكل خاطىء، فقد تنتهي بها الأمور إلى ضرر اكبر من الجرح الأساسي.

إذاً.. لن تعود إلى استراليا. ولن تدع هذا الأمر يشوش حياتها كلها.. لعنة الله على آل ميلمان! من هم.. على كل الأحوال؟ لقد حان الوقت ليعلمهم أحد ما بأنهم لا يستطيعون أن يمدوا ايديهم هكذا ويحصلوا على ما يريدون، ويؤذوا الناس الأخرين.

ودقت بيتي ميلمان باب غرفتها الموارب، قبل أن تدفعه وتنظر إليها. وحدقت بها كارن، وهي تجلس دون حراك على سريرها، ويداها متشابكتان فوق ركبتيها لمنعهما من الارتجاف.

ـ آه.. كارن.. هذا أنت.. أنا.. أنا لا أعرف ماذا أقول لك.

كانت شاحبة أكثر من كارن نفسها، وعيناها حمراوان، لا بد أنها كانت تبكي، وبدت كئيبة وحزينة، ولم تستطع كارن إلا أن تشعر بالأسى عليها، على كل، فابنتها ما زالت في الثامنة عشر من عمرها، ولكنها لم تظهر اللين او والتعاطف، وحافظت على رباطة جأشها، وأظهرت البرود. وقالت لها:

ـ ليس هناك شيء مفيد تستطيعين قوله. وأفضل أن لا تقولي شيئاً أبداً.

ـ أعرف كيف تشعرين...

وتقدمت نحوها، فعبست كارن..

ـ لا أعتقد أنك تعرفين، سيدة ميلمان! أرجوك أن تذهبي، لا فائدة من الكلام في الموضوع.

ـ أوه يا كارن.. أنا آسفة.. آسفة جداً..

ومدت يديها إلى كارن، وعيناها الجميلتان تلمعان بالدموع، وفمها يرتجف «أنا لا أجيد الكلام، ولا أعرف ما يجب أن أقول.. ولكنني أشعر بالأسى.. إنه شيء فظيع. كيف أستطاعت كارلا...».

واهتز صوتها.. وخفت ثم خرجت منها بضع كلمات أخرى «لا اعرف كيف استطاعت فعل هذا.. ليس عندي أية فكرة يا كارن.. اقسم لك!.. لم نشك بالأمر أبداً! ولم أصدق عندما أخبرني روك».

وامسكت بيدي كارن، ولم تستطع أن تمنعها، فجلست والمرأة تشد على يديها، والدموع تجري بقوة على وجهها. واخذت تنتحب وتقول «إنها مجرد طفلة.. في الثامنة عشر فقط... لا تعرف ماذا تفعل». وظهر على وجه كارن الغضب، ولاحظت السيدة ميلمان الغضب الساخر في عينيها، وأجفلت وكأنما كارن ضربتها.

ـ إنها تحب، الحب هذا كل شيء. لا يمكن أن يكون هذا الشيء الحقيقي... فهي بالكاد تعرفه.

وضحكت كارن بغضب «الشيء الحقيقي؟ بالطبع لا!» ونظرت إليها بيتي بإشفاق وقلق، وتحول لون وجه كارن إلى الأحمر. فلم تكن تريد أي من هذه المشاعر من المرأة التي دمّرت حياة أمها.

ـ إنها مجرد صدمة، فإنها أصغر من أن تعرف الحب الحقيقي! لا بد أنها أخطأت في فهم ما تشعر به نحوه! واضطرارها لإبقاء زياراتها له سرية ضاعف في تأثير الرومانسية عليها. ولكنني أشعر بالعار، كان يجب أن تدرك ماذا سيفعل هذا بك!

ـ إنها لا تهتم بي!

وسحبت يديها من يدي السيدة ميلمان، وسارت نحو النافذة، تقاوم غضبها، ولكنها في النهاية لم تقدر على منع مشاعرها الحقيقية:

ـ أنت تعرفين جيداً.. لقد رغبت بتشارلز لأنه لي. ولو كان غير مرتبط لما نظرت اليه، ولكنها ابنتك، وتفضل أن تختار رجلها من بين أحضان امرأة أخرى.

ووقفت بيتي ميلمان بصمت وقد تجمدت، تحدق بها.

ـ أوه، لا تتظاهري بالذهول، فلن تستطيعي خداعي، كما لم

تستطيعي خداع أمي!

ـ وهل أخبرتك... ماذا؟.. ماذا قالت لك؟

ـ الحقيقة! لقد علمت أنني كبيرة كفاية لأعرف ماذا حطّم زواج والداي.. أو من حطّمه!

ووضعت بيتي يدها على فمها، وابيض لونها، ثم اندفع اللون الأحمر فجأة ليغطي وجهها حتى أطراف شعرها.

ـ أوه.. اذاً هذا هو السبب... سبب خشونتك معي عندما وصلتي إلى هنا؟

ـ إلى أن اصبحت غبية حتى تركت سحرك ينسيني كل ما قالته أمي! ولكن هذا ما أنت ناجحة به أنت وابنتك، وكل.. كل عائلتك اللعينة! فلديكم نبوغ في سحر الناس كي ينسوا كل شيء... تلك الاشياء الصغيرة غير المهمة.. مثل الإخلاص والكرامة.. والعقل السليم!

ـ ولكن لم يكن هذا صحيحاً.. لقد كان زوجي كل شيء لي، لقد أحببته كثيراً. ولم أنظر مرة إلى رجل آخر. أنا وأبوك كنا اصدقاء، كما كان صديق زوجي تماماً. يجب أن تعرفي أباك أكثر حتى لا تصدقي أنه قد يخون واحداً من أعز اصدقائه، لقد عرف زوجي منذ وقت طويل، أكثر مما عرفته أنا.

ـ ولكنك عرفت عن ماذا أتحدث على الفور!

ـ اوه.. لقد اتهمتنا امك... في أحد الايام أتت إلى منزلنا، وسبّبت فضيحة، تصرخ وتبكي. وتكدرت كثيراً، وحاولت أن أقول لها الحقيقة، ولكنني عرفت أنها غير متوازنة، لذا لم آخذ الأمر بشكل جدي. وقال جورج أن أنسى الأمر، وقال إنها في الواقع لا تصدق نفسها، لقد كانت مريضة بالغيرة. لقد كانت تغار من كلبته، وتغار منك أيضاً يا كارن. لقد كانت تجن إذا فكرت أن والدك يحبك أكثر منها.

واتسعت عينا كارن، هذا صحيح، على الرغم من أنها نسيت الأمر حتى الآن، كانت تعلم أن امها تغار عندما تكون هي وابيها معاً، وماذا نسيت بعد عن سنوات طفولتها؟ وتذكرت أن روك مازحها بقوله إنه قبّلها من سنوات طويلة. فهل كان يكذب؟ منذ أن قال هذا، كانت ذكرى خفيفة جداً تحاول البروز، وشعرت بها وكأنها ستلمسها للحظة... ثم اختفت... وتابعت بيتي قولها:

ـ وبعدما ذهبت وأخذتك معها، قال جورج إنها اخذتك لتتأكد أنك ستكبرين وأنت تكرهينه.

وكان هذا صحيحاً ايضاً.. فأمها أرادتها أن تكره والدها، ولهذا السبب أخبرتها الكثير عن الماضي، وشوهت اسمه. وهذا شيء اكتشفته كارن بنفسها منذ سنوات طويلة، ولكن طبيعة أمها الغيورة، وعدم استقرارها لا يعني أن ليس هناك أية ذرة من الحقيقة في اتهاماتها المجنونة. ام هل هذا غير صحيح؟ ولكن لا بد أن يكون هناك بعض النار وراء هذا الدخان.

ـ لا بد أن ولداك قد ورثا هذا من مكان ما...

ـ ولداي...

ـ كارلا وروك! أجل! إنهما شريران أكثر من بعضهما!

ـ روك؟

ـ أجل روك! أنا أعرف كيف استطاعت كارلا أن تغري تشارلز لأن شقيقها حاول نفس الشيء معي. كان يعبث معي كل مرة أراه فيها. ولكنه لم يهتم بي بالدرجة التي خدعت فيها ابنتك تشارلز المسكين.

ـ روك كان يعبث معك؟

ـ لا تتظاهري بأنك صدمت! فلا أستطيع احتمال النفاق! إنه ابنك، وكلانا نعرف من أين ورث خصائله!

كانتا معاً، مستغرقتان فيما تقولانه حتى أنهما لم تسمعا وقع الأقدام

على السلم ولم تنتبها للرجل الذي وقف عند الباب، إلى أن تكلم، مما جعلهما تقفزان فزعاً. وقال بحدة «كارن!».

ونظرتا إلى الخلف وقد صعقتا.

واحمّرت بيتي ميلمان لرؤيته، واستدارت بسرعة، وبدا على وجهها الضيق. وعلى العكس كان وجه جورج كارداس أبيض شاحب، وعيناه تقدحان شرراً. وقال:

ـ لا تتحدثي مع السيدة ميلمان هكذا.

وضحكت كارن بغضب.

ـ السيدة ميلمان؟ لقد تأخرت بهذه الرسميات يا أبي... أعرف كل شيء عنكما، لقد أخبرتني أمي...

وارتفعت الدماء تغلي إلى وجهه، ونظر بسرعة إلى بيتي ميلمان.. التي أسرعت لتتوسل اليه:

ـ قل لها إن هذه ليست الحقيقة يا جورج!

ولكنها لم تستطع أن تنظر اليه، ولكن دون فرق، فقد قرأت كارن الذنب في عينيها. وقالت:

ـ اجل.. اكذب عليّ يا أبي.. قل لي إنك لا تحبها!

وبدا حزيناً، ورأسه إلى الأسفل، والعبوس قد أطبق حاجباه معاً:

ـ أمك كانت مريضة، وكانت تختلق المشاكل لتعطي نفسها حجة لتؤلمني.. لقد كذبت عليك يا كارن.. لم يكن هناك شيء بيني وبين بيتي، لقد كنا أصدقاء فقط، أقسم بشرفي أن هذه هي الحقيقة.

وارتفعت عيناه إليها، وصدّقت نظراته الصريحة، صدقت أكثر النظرة التعيسة والألم فيهما، ولكن ما يقوله ليس الحقيقة الكاملة وهو يعرف هذا، وتعرفها هي أيضاً، وشعرت فجأة بالأسف عليه.

كان في وجهه تعاسة جعلتها تؤمن أنه تكلم بنصف الحقيقة. ربما لم يكن يحب بيتي ميلمان في البداية؟ ربما لم يعد يحب والدتها ولا

www.elromancia.com

يستطيع مواجهة شعور قدمات بداخله؟ كانت تعلم كم كانت أمها صعبة المراس، كم صعب أن تحبها أو تقتنع بحبها!

ولكن، وكيفما تم الامر، فقد أحب والدها بيتي ميلمان في النهاية. ربما عندما اتهمته أمها وضعت الفكرة دون وعي منها في رأسه؟ إذا لم يكن يهتم ببيتي من قبل فقد جعله هذا ينظر إليها نظرة جديدة بعد أن بدأت زوجته تغار منها.

ومررت كارن يدها على شعرها الأحمر، تفكر بشيء تقوله، ولكنها لم تستطع سوى أن تهمس «آسفة يا أبي!».

وعلم أنها تعني أكثر من الاعتذار لأنها كدّرت السيدة ميلمان، فقال لها:

ـ لا تقولي هذا لي... بل قوليه للسيدة ميلمان!

واستدارت كارن والكلمات على شفتيها، ولكن بيتي ميلمان هزت رأسها، وهي تبتسم:

ـ لا بأس يا كارن، لا حاجة للاعتذار، فأنا أفهم.. إنها والدتك، وكنت منزعجة ولا شك، ولو كنت في مكانك، لشعرت بنفس الشيء، أنا لست غاضبة، على الرغم من أنها ليست الحقيقة، أي جزء منها! فقط أشعر بالحزن عليها، وعليك أيضاً. ولن انسى كم كانت مريضة، وأعتقد أنها لم تكن تعرف ماذا تقول.

وتنهدت كارن طويلاً، وهزت رأسها، وقالت:

ـ أجل لقد كانت مريضة.

ـ مع كل هذا الكلام نسيت... أوه، جورج، هل علمت؟ أنباء فظيعة.. خطيب كارن..

ـ أجل.. لقد أخبرني روك.. كارن، يا حبيبتي.. أنا آسف...

كانت قد استعادت سيطرتها على نفسها الآن، وشعرت بالخفة بشكل غريب، وكأنما اكتشافها للحقيقة عن والديها قد رفع حملاً ثقيلاً

عن كاهلها. فقالت بخفة:

ـ حسناً.. الأفضل ان يتخلى عني الآن من أن يتخلى عني بعد الزواج.

ورفعت رأسها عالياً، وبحثت عينا والدها في وجهها عن إشارة لما تشعر به حقيقة. وابتسمت له كارن بتحدي. فقال جورج بحنان تذكرته منذ طفولتها: «هذه هي فتاتي!».

وقالت بيتي «لو أننا نعرف فقط اين ذهبا! لا يمكن أن يخرجا هكذا إلى الشارع ويتزوجا، حتى في هذه الأيام. لا بد أن يحصلا على ترخيص، أيظن انهما ذهبا إلى لندن؟ روك يظن أنهما ذهبا إلى هناك.. ماذا تظنين يا كارن؟».

ـ ربما.. تشارلز يحب لندن. وهو لا يحب الريف، ولاحظت أنه لم يحب يوركشاير، عندما كنا قادمان الى هنا. فهو يفضل الأضواء اللامعة والمرح. لذا لن أندهش إذا ذهب إلى لندن.

وقالت بيتي «أظن أن على روك أن ينسى الأمر، سيكون هذا كمن يبحث عن ابرة في كومة قش».

وتنهدت بيتي، وتحركت نحو الباب وقالت:

ـ هل ننزل إلى تحت ونتناول فنجان شاي بينما نحن نتحدث، أكاد أموت من العطش، ألا تشعرين بهذا يا كارن؟

وتبعها جورج، ولكن كارن ترددت. وجلست على السرير، وساقاها أضعف من ان تحملاها. عندما تحدثت بيتي عن روك، تخيلت أنها تراه تقريباً، ذلك الوجه الأسمر الغاضب، تلك العينان اللامعتان... مجرد التفكير به جعل معدتها تتقلص، وقلبها يضرب على ضلوعها.

وتقدم والدها إلى جانبها، ونظر إلى وجهها الشاحب بقلق.

ـ هل أنت بخير؟

ـ أجل.. أنا.. فقط تعبة.

ـ تعبة!

وعادت بيتي إلى الغرفة وشعور بالذنب على وجهها.

ـ أوه.. يا كارن المسكينة.. أنت تبدين تعبة، لقد تلقيت صدمة، ويجب أن تستريحي. تمددي في فراشك، وسأعود حالاً لأجلب لك بعض الطعام الخفيف، بيض وكوب حليب.

ـ لا... لا شيء... آسفة لا أريد أن أكون قاسية، ولكنني لست جائعة، وأرغب في أن أختلي بنفسي لساعة أو ساعتين.

وخرجا على مهل من الغرفة، وكأنها طفل يحاول أن ينام. وأغلق الباب واستلقت كارن في الفراش تحدّق بالسقف. كانت دوماً تستلقي في هذه الغرفة أيام طفولتها تستمع إلى الريح تصفر فوق البراري، وإلى صراخ الطيور، ونباح الثعالب البعيدة من مكان ما على التلال، أو صراخ والداها من الطابق الأرضي. وأغمضت عينيها، وعاد إليها ذلك الشعور القديم بالعـ... ـبؤس.

ولا بد أنها استغرقت في النوم حالاً، فقد حلمت بأنها موجودة في حفلة، حفلة أطفال في قصر ميلمان، وكانت تتجول في الغرف وبين الممرات، خائفة من صوت الريح في المدخنة، متسائلة أين اختفى الجميع، لقد كانوا يلعبون لعبة «الغميضة»، وسمعت صوتاً في أحد الخزائن، ففتحتها، وكان داخلها مظلماً، وتحرك أحدهم في الظلام، وخرجت يد وأمسكت بها، وجذبتها إلى داخل الخزانة، وصفقت الباب وراءها، قبل ان تستطيع النجاة.

وسمعت أحدهم يهمس «لقد قبضت عليك!» وصرخت عالياً ولكن قبل أن تصرخ ثانية، قبلّها شخص ما. وكانت صغيرة لا تعرف معنى القبلة. وذهلت، ولم تستطع سوى أن تقف حيث هي دون حراك.

وهمس «من؟..» ورد عليها «من من ها انا..» ثم دفعها خارج

الخزانة في وقت كان يمر بعض الأصدقاء. وجرفوها معهم وتحول الحلم إلى حلم آخر، فشاهدت نفسها وشخص لم تستطع رؤيته يطاردها في البرية، شخص أرعبها، وصرخ بها من بعيد «استيقظي» واستدارت «لا.. لا.. اتركني» وعاد الصوت العميق يقول «استيقظي» وقفزت من مكانها وهي تشهق برعب صارخة «لا!» وفتحت عينيها، ونظرت إلى وجه روك بذعر. كانت تعرف أنه روك دون ان تنظر اليه. وعرفت أنه هو من كان في الخزانة المظلمة! ولكن لماذا حلمت أنها طفلة... وقال لها:

ـ كنت تحلمين بكابوس... ولم تستيقظي عندما ناديتك.

كان يجلس على السرير، يميل فوقها، وشديد القرب منها. وحدقت في عينيه ولاحظت أن سوادهما فيه بؤبؤ ذهبي، وبعض الخيوط الذهبية اللامعة حوله، وسألته بجفاء:

ـ أين والدي؟

ـ لقد عاد إلى العمل.

ومرر يده فوق شعرها، فارتعدت، وصرخت به «لا تفعل هذا!» وطوحت بساقيها من الفراش ووقفت، وتناولت فرشاة، وأخذت تمشط شعرها بضربات سريعة.. وسألته «هل من أخبار؟».

ـ عنهما؟.. لا.. لقد ذهبت لرؤية وكالة تحريات. وأجروا الاتصالات بكل أنحاء البلاد، ولكن يبدو أن الأمل ضعيف، سيكون الأمر أسهل لو أرسلا رسالة! وطلبا ترخيص زواج.

ـ لا زلت أعتقد أن أختك ستتركه بعد بضعة أيام.

ـ هذا تفكير سليم... ولكن لم تقولي لي بعد، إذا تركته، هل تعودين إليه؟

www.elromancia.com

ـ ماذا تفعل في غرفتي، على كل حال؟

واستلقى على فراشها، براحة، ويداه خلف رأسه وهو يراقبها بوجه ساخر.

ـ كنت أوقظك من النوم... أيتها الجميلة النائمة، لقد نمت لساعات، ووعدت والدك أن أراك لأطمئن عليك، ولكن عندما صعدت إلى هنا، سمعتك تتكلمين وأنت نائمة، وكأنك تحت تأثير كابوس. هل تتذكرين ما هو؟

ـ لا...

ـ وهل كنت أنا فيه؟

ـ اجل...

فضحك وقال «لقد دخلت إلى حلمك أليس كذلك؟».

ـ اسمع.. أريد تغيير ملابسي، لذا أرجوك اذهب.

ـ البسي تلك الكنزة الخضراء، إنها تجعل جسمك يبدو رائعاً، ومغرياً.

والتمعت عيناها، واحمّر وجهها وسارت نحو الباب ففتحته:

ـ الوداع.. سيد ميلمان.. سأكون بخير.. شكراً لك.. لا حاجة لك بالبقاء هنا...

ووقف متكاسلاً، واستدار نحوها، ولكنه لم يخرج، بل وقف فقط ينظر اليها.

ـ أنت لا زلت تفكرين به..

ـ أنا لا أتحدث عنه معك؟

ـ لقد عرفتيه لسنوات طويلة.. أليس كذلك؟

ـ مع السلامة.. سيد ميلمان!

ـ لقد خطبك منذ أكثر من سنة، ولكنكما لم تشعرا بحاجتكما للزواج.. ألا يعني لي هذا شيئاً؟

ـ هل تستطيع أن تصمت.. إن ما حدث غلطتك أنت..

ـ اعتقد أنني توقعت أن تنقلب الأمور لتلوميني.. ولكن قولي لي كيف؟ من أجل إرضاء فضولي فقط...

ونظرت إليه يائسة.. محاولة أن تبرر اتهامها، وتذكرت شيئاً نسيته حتى هذه اللحظة.

ـ يوم دخلت علينا شقيقتك! اجل.. لقد فهمت الآن... لقد استنتجت كل أنواع الاستنتاجات.

ـ بعضها كان صحيحاً...

ـ كلها كانت خاطئة! لقد كنت تهاجمني ولم أكن أشجعك!

ـ لم تكوني؟

ـ أنا متأكدة أنها ذهبت رأساً لتخبر تشارلز أن هناك شيئاً بيني وبينك، ولهذا فكر بأن يتركني.

ـ لمرة واحدة لم تكن كارلا على خطأ هل كانت؟

ـ لقد قفزت كارلا لتلتقط فرصتها، ربما كلاكما خطط للأمر؟ أن تدخل لترانا هكذا ثم تخبر تشارلز...

ـ لا تكوني سخيفة!

وغادرت وجهه امارات التسلية، وحل مكانها القلق والغضب، ثم خفف من تقطيبته ونظر إليها بظرف:

ـ توقفي عن خداع نفسك يا كارن.. لقد راقبتك وأنت معه.. كلاكما كان يتصرف مثل الأصدقاء، وليس الأحباب!

ـ انت لا تعرفنا...

ـ أنا أعرفك.

واقترب ليقف قريباً منها وعيناه فيهما الإثارة.

ـ أعرفك بشكل حميم يا كارن.. ليس كما أشتهي ولكن...

ـ ولن تعرفني أكثر أبداً.

www.elromancia.com

وابتسم بطريقته الكسولة الساخرة، وهز رأسه «أوه.. صحيح؟».

ـ لا تخدع نفسك! لن تتقرب مني، أبداً...

كانت ترتجف من رأسها إلى قدميها، لأن جسمه كان فيه جاذب يجذبها اليه كما الابرة التي تتجه دوماً إلى الشمال. ترتجف دون إرادة عيناه السوداوان أخبرتاها أنه يعرف ما يحدث لها كلما اقتربت منه.

ـ خسارتك له لن تدمر حياتك. قلبك لم يتحطم يا كارن.. لا تتظاهري بهذا...

ـ اخرج من هنا... أكرهك.. لا تتكلم عن الأمر بعد الآن، اتركني لوحدي.. لا أطيق قربك مني...

لقد أصابته في الصميم... وشعرت بجسده يتوتر، ورأت عيناه تضيقان وتلمعان... وقال بحدة:

ـ أليس هذا أمر مؤسف؟.. حسناً ستتحملين قربي منك الآن...

واقترب منها وذعرت مرة أخرى، وأخذت تضربه بقبضتيها وهي تصرخ:

ـ لا تلمسني.. لن أبقى هنا أبداً.. سأعود غداً إلى استراليا!...

وجمد روك مكانه، وتطلع بها، وللحظات طويلة حدّقا ببعضهما، ثم صرخ بها روك:

ـ اذهبي إذاً.. فليلعنك الجحيم.. اذهبي إلى استراليا، لا تعودي أبداً..

واستدار على عقبيه ونزل الدرج بسرعة، وخرج من الباب... وتركها فاقدة الإحساس...

* * *

٩ ـ هل تذكرين؟

لم تكن كارن تعني أنها ستذهب، لم تكن تريد أن تعود إلى استراليا، وآخر شيء تفكر فيه، متابعة رحلتها إلى أوروبا. ولكن شجارها مع روك غيّر كل شيء. وبقيت كلماته الأخيرة تعطي صدى في رأسها واستمعت إليها بهدوء متجمد، ثلجي.. من جراء الصدمة.

اذهبي!.. عودي إلى استراليا!... اللعنة عليك! قالها وكأنه يكرهها.. وجلست على سريرها، ووجها شاحب وعيناها مليئتان بالألم، تواجه شيئاً كانت تحاول تجنب الاعتراف به منذ أن وقعت عيناها لأول مرة على روك ميلمان.

لم تكن تكرهه أبداً، إنها تكذب على نفسها مثل المجنونة، ويجب أن تتوقف عن هذا الآن... الاعتراف كان مؤلماً، وجفّ فمها، وأخذ جسدها يرتعد وأطراف اعصابها متوترة وكأنها لمست النار. ولكنها أجبرت نفسها على مواجهة الحقيقة!

لقد وقعت في حب روك، ولم يكن هذا يشبه ذلك الشعور الدافىء السعيد العادي الذي كانت تشعر به مع تشارلز، فتشارلز لم يكن

www.elromancia.com

يجعلها ابداً تشعر هكذا، حتى أنها لم تكن تعرف أن بإمكانها أن ترغب في شخص بهذه الحرارة، ولكن منذ اللحظة التي رأت فيها روك، كان هذا شعورها، ولهذا كرهته، ولهذا تشاجرت معه، ورفضته.

مشاعرها، بعثت الرعب في نفسها! لم تكن تعلم كيف تدبر أمرها مع الألم الذي تثيره العواطف، ما عدا أن تقلب الرغبة إلى غضب، لأن الغضب يخفي مشاعرها الحقيقية عن روك. ولكنها الآن لن تستطيع أبداً أن تتظاهر. لقد خرج السر من عقلها الباطني، وسيكون أصعب عشر مرات أن تحاول إخفاؤه عن روك.

إنها مجبرة على التسليم، عاجلاً... وعندما يعلم روك حقيقة مشاعرها، سيبدأ الضغط عليها. وسيقنعها بمعاشرته، وستكره نفسها إذا فعلت، إنها تحب روك، ولكنه ليس من ذلك النوع الذي ينظر إلى النساء بجدية. روك لا يؤمن بالحب، إنه انتهازي، قرصان نساء، رجل من الكارثة أن تحبه امرأة!

وخرجت من السرير، وعادت لتكمل تحضير حقيبتها ثانية... لا تستطيع بعد الآن أن تبقى هنا... يجب عليها أن تبتعد، ستذهب إلى لندن أولاً، لتعطي نفسها وقتاً لتقرر ما تريد فعلاً أن تفعله. ربما تحصل على وظيفة هناك؟ أو ربما ستكون آمنة أكثر لو عادت إلى استراليا؟.

وأخذت ترمي ملابسها في الحقيبة ثم أقفلتها، ودخلت الحمام لتغتسل، ثم ارتدت قميصاً نظيفاً وبنطلون جينز. ووضعت لمسة مكياج على وجهها ونظرت إلى نفسها في المرآة. ولاحظت أنها قد تكون مرتبة المظهر الآن، ولكنها لا زالت متوترة. وهبطت إلى الطابق الأرضي... وهي تحمل حقائبها.

وجلست لتكتب لوالدها، ولكن كان من الصعب أن تشرح لماذا

ستذهب دون أن تودعه، وتطلعت بالورقة أمامها... وهي تعض شفتها، ثم كتبت بسرعة رسالة قصيرة، تقول فيها إنها آسفة ويجب عليها أن تذهب، وتعد أن تكتب له ثانية، لتبلغه عنوانها، ثم خرجت ووضعت الحقائب في السيارة، وأدارتها وبدأت رحلتها في الفراغ.. نحو لندن. لن يصعب عليها أن تحصل على غرفة في فندق هناك.. وربما غداً ستكون قد قررت ماذا تفعل.

وبرزت ابتسامة مريرة صغيرة على فمها وهزت كتفيها. لقد عرفت ماذا ترغب في فعله الآن! ولكنها لم تستطع الاستسلام لهذا الشعور، فستكره نفسها طوال حياتها إذا فعلت. ستخف هذه الرغبة المؤلمة عندما تبتعد عن روك، وتعلقت بهذه الفكرة، وقادت بسرعة، وهي لا تبالي بالسيارات الأخرى على الطريق...

من المؤكد أنها لم تلاحظ تلك السيارة الكبيرة السوداء التي مرت بها بسرعة على بعد عدة أميال من المزرعة، إلى أن استدارت السيارة في منتصف الطريق، وذعرت كارن، عندما اكتشفت أنها تسير بين السيارات بسرعة رهيبة، وداست على المكابح بسرعة، واصدرت الإطارات أصوات صرير.. وتأرجحت سيارتها يمنة ويسرى على كل عرض الطريق، وقد فقدت السيطرة عليها تماماً، وانتهى بها الأمر إلى خارج الطريق على منحدر مليء بالعشب.

وانقلبت كارن فوق المقود بعنف وبقيت حيث هي، غائبة عن الوعي للحظة، مذهولة حتى لم تعد تعي أي شيء. وخرج سائق السيارة السوداء، وركض ليفتح باب سيارتها، وأحست بيديه تفكان حزام الأمان من حولها، فرفعت رأسها إليه «روك!» لم تتعرف على السيارة الأخرى أو تعرف من يقودها، وجعلتها الصدمة ترتجف بعنف.

ولم يرد عليها، كان مشغولاً بسحبها من سيارتها، وشعرت بيديه فوق جسدها، فالتفتت إليه بغضب قائلة:

ـ ماذا جعلك تستدير في منتصف الطريق هكذا؟ هذه ثاني مرة تحاول قتلي فيها! المرة الماضية ألقيت اللوم على تشارلز... وما عذرك هذه المرة؟

ـ كان عليّ أن أوقفك.

ـ أنت... أنت قصدت أن تجعلني أتحطم مع السيارة؟ أنت مجنون أكثر مما كنت أعتقد! ماذا لو تعطلت المكابح؟ وماذا لو أنني لم أستطع التوقف في الوقت المناسب؟

ـ كنت سأبتعد عن طريقك قبل أن تصطدمي بي.

ـ لدي دافع يدفعني للاتصال بالبوليس، وأتهمك بالقيادة الخطرة! كان عليّ أن أقاضيك في المرة السابقة. في المرة القادمة قد تقتلني.. أنت رجل مجنون مستهتر!

ودفعها روك إلى سيارته، وانحنى عليها ليقول:

ـ في المرة الماضية كانت غلطة تشارلز وأنت تعرفين هذا. أما الآن فقد تعمّدت هذا، تعلمت منه.

وصفق الباب ومدت يدها إلى المقبض بسرعة ولكنه كان أسرع منها. وأسرع الى المقود، وسحب يديها عن الباب.

ـ ابقي هادئة وإلا صفعتك!

ـ لن تجرؤ على ذلك!

ـ جربيني!

ونظرت إلى عينيه الغاضبتين الملتمعتين وقررت أن لا تخوض هذا الامتحان... فابتسم بسخرية «أنت حكيمة!»..

ـ أرجوك دعني أخرج! أنا في طريقي إلى لندن!

ـ اعتقدت أنك في طريقك إلى مكان ما.. لهذا أوقفتك. لن تذهبي!

ـ لقد قلت لي أن أذهب! منذ ساعتين فقط قلت لي أن أعود إلى

استراليا.

ونظر اليها بصمت، وفمه يرتجف والتوتر في عينيه، ثم تنهد...

ـ لم اكن أعني ما أقول... يجب أن تعرفي أنني لم اعنِ يا كارن. لقد فقدت أعصابي وقلت أول شيء خطر ببالي... أنا آسف..

وخافت أن تلين، لأن أقل ضعف تجاهه قد يعني الكارثة.

ـ حسناً.. أنا ذاهبة.. على كل الأحوال..

وأغمضت عينيها، عندما ينظر إليها هكذا كانت معدتها تتقلص وجسدها يشتعل بالرغبة، ولكن يجب أن لا تدعه يؤثر عليها. يجب أن تبتعد عنه قبل أن يدرك مدى رغبتها به. ومد ذراعاه ولفهما حولها واحتضنها، فقالت بصوت مرتجف:

ـ لا تفعل هذا!

ولكنه لم يرد عليها وتابع ضغطه على جسدها، وحاولت أن تقاومه، ولكنها كانت راغبة في ملامسته. وشعرت بالراحة عندما تركها. وصبت غضبها عليه، آملة أن يكون ما تفعله مقنعاً له:

ـ انزع يديك عني!

ـ الا زلت متعلقة بذلك الغبي الذي رماك ليهرب مع شقيقتي؟ لا تضيعي مزيداً من وقتك عليه يا كارن، إنه لا يحبك، ولم يحبك ابداً!

ـ وماذا تعرف عن الحب؟

ونظر إليها روك باحتقار، حتى أنها كادت تنفجر بالبكاء. ولكنها تمالكت نفسها ورفعت رأسها وحاولت إظهار البغض له. فضحك وقال «أعرف عنه أكثر مما تعرفين أنت!»

فقالت له بمرارة «أشك في كلامك!».

ومرت بهما سيارة، وخففت سرعتها وأطل السائق منها وصاح.

ـ هل أنتما بحاجة لمساعدة؟

www.elromancia.com

وجلس روك، وأطل رأسه وقال «لا.. شكراً».

- هل أصيب أحد في الحادث؟

- لا... إنه ليس حادثاً خطيراً.

- من كان يقود تلك السيارة محظوظ لأنه لم يقتل.

ثم تابع السائق سيره، ونظر إليها روك بسخرية وقال:

- لقد ظن أنني أسعفك!

- لقد كان على حق عندما قال إنني محظوظة بأنني لم اقتل! هل لك أن تساعدني على إرجاع سيارتي إلى الطريق؟

- لن أستطيع، خاصة بعد كل المطر الذي كان، والارض رطبة، كل ما سنفعله أن نحفر الوحل فنزيد الأمر سوءاً. اتركيها هنا وسأرسل واحداً من الكاراج ليأتي بها.

وذهب روك ليأتي بحقائبها من السيارة، ووضعها في سيارته ثم قال:

- سأوصلك إلى البيت...

- هل تتوقف عن تسيير حياتي كما تشاء؟

- يجب على أحد أن يفعل!

- لقد تدبرت أمر نفسي لسنوات!

- لا يبدو أنك نجحت كثيراً حتى الآن. لقد اخترت أسوأ مخلوقات الله... وقفزت إلى أسوأ الاستنتاجات دون أن تعرفي ماذا تفعلين في الحقيقة!

وفتحت فمها لتصرخ في وجهه، ثم تذكرت كم كانت مخطئة بحق أمه.. ومدى ضعف الدليل الذي كان لديها للاستنتاج الخاطىء عن بيتي ميلمان.. فأقفلت فمها ثانية.

وكان روك يرمقها جانبياً. ينتظر ردها، وارتفع حاجباه لصمتها، فقال لها ساخراً «حسناً.. أليس لديك ما تقولينه؟».

- لقد قررت أن لا أدع لك المجال لجري لمناقشة حمقاء عقيمة مرة ثانية، قد تتمتع أنت بها، ولكنني لا أحبها! لم أتشاجر مع أحد طوال حياتي بالطريقة التي أتشاجر بها معك، ولست أدري لماذا نستمر بالصراخ على بعضنا...

- ألا تعرفين؟ أستطيع أن أقول لك.. ولكن...

- أنا لن أصغي إليك!

- أنت لا تريدين أن تصغي!

ولاحظت أنه لم يكن يأخذها إلى منزلها، فقد كان يتجه باتجاه قصر ميلمان فقالت بقلق:

- أين ستأخذني؟

- وأين تظنين أني سآخذك؟

- أريد العودة إلى منزل والدي...

- فيما بعد!

- لا.. الآن... خذني إلى منزلي!

واستدار نحو منزله دون أن يعيرها التفاتاً. ورمقته بمزيج من الغضب والرغبة، التي كانت تشعر أنها ستنفجر في أية لحظة.. ما العمل برجل مثل روك ميلمان؟

- أنت تدفعني للجنون!

- اصرخي!

وأوقف السيارة خارج المنزل، ثم استدار نحوها وقال:

- كارن، أرجوك توقفي عن الجدال معي لبضعة ساعات، لوقت يكفي لتناول العشاء معنا؟ امي تشعر بالتعاسة لما حدث. وهي تحبك كثيراً. هل ستكونين لطيفة معها هذا المساء.. اظهري لها أنك لا تلومينها؟ أنت لا تلومينها أليس كذلك؟

www.elromancia.com

وهزت رأسها: «أعتقد أنني لا الومها، وأنا أحبها أيضاً.. وأنا سعيدة لأنها تحبني!».

ـ هل هذا اتفاق.. إذاً؟

ونظرت اليه وتنهدت، وهزت رأسها. ومضت الأمسية هادئة... كان الأربعة هناك.. روك وأمه... وكارن ووالدها. وبعد تناول العشاء جلسوا يتحدثون لعدة ساعات قرب نار المدفأة. وعادت كارن إلى المزرعة مع أبيها. وجعلها الإرهاق تنام نوماً عميقاً. لتستيقظ على أصوات في الخارج، وسيارات تقف امام المنزل، فقد أعاد روك والميكانيكي سيارتها.

وخرجت من فراشها، وأخذت دوشاً، وارتدت ملابسها ثم نزلت إلى الطابق الأرضي لتجد روك يتناول القهوة في المطبخ، ويتحدث إلى أبيها. وعندما ظهرت أمامهما، نظر إليها روك ساخراً من قمة رأسها إلى قدميها متفحصاً مما جعلها تحمّر خجلاً، وقال مغيظاً لها:

ـ حسناً، هل استفقت أخيراً؟

ونظرت كارن إلى ساعتها «ليس الوقت متأخراً! إنها التاسعة والنصف، أم أن ساعتي متوقفة؟».

وقال والدها: «لا... هل تريدين إفطاراً؟ بيض؟ لحم؟.

ـ سآخذ القهوة فقط، شكراً.

وجلست عند الطرف المقابل لروك، وابتسمت بخجل:

ـ أرى أنك جلبت لي سيارتي، هذا لطف منك، شكراً لك.

ـ لقد كان خروجك عن الطريق غلطتي، لقد غسلها الكاراج قبل أن نحضرها إلى هنا. وصدقيني كانت بحاجة لغسيل! لقد كانت مغطاة بالوحل.

ـ شكراً لك.

وأحست أن والدها يراقبهما.. هل علم أحد بما تشعر به تجاه روك؟ هل يظهر عليها؟ عندما تنظر إليه.. أم في صوتها؟ ونهض روك «يجب أن أذهب.. سأراكما فيما بعد» وخرج.. وجلست كارن تحدق بلا شيء، تشعر بالوحدة بعد أن غادر... وأرعبتها هذه الفكرة.. هل اصبحت تعتمد عليه بهذه السرعة؟ إنه أمر خطير، ويجب أن تضع حداً له!

وتمتم والدها «كارن!» والتفتت إليه بسرعة، ولاحظت قلقه، مما جعلها تقلق هي الأخرى. «نعم؟».

ـ كنت أتساءل.. لدي أعمال مكتبية كثيرة، تنتظر التعامل معها.. وساكون شاكراً جداً لبعض المساعدة. لو سمحت؟ فلدي عمل كثير أقوم به هنا...

وضحكت وبدا الحنان على وجهها.

ـ طبعاً يا أبي.. سأكون سعيدة، بمساعدتك، ما رأيك أن أبدأ الآن؟

ورد عليها جورج كارداس «سيكون هذا رائعاً!» وتنهد بارتياح.

وظنت بادىء الأمر أنه قد اختلق عملاً زائفاً لا حاجة لعمله في الحقيقة، ولكنها عندما رأت طاولته القديمة، وقد تكدست فوقها الطلبات، والرسائل، والمذكرات الحكومية، والوثائق الرسمية، أصبحت واثقة أن والدها بحاجة لها. إنه بحاجة ماسة إلى سكرتيرة، وكارن سكرتيرة ممتازة.. وقالت له واثقة من نفسها «اترك كل هذا لي... سأتولى أمره» وبعد احتجاج بسيط، أطاعها بسرور.

وقضت الأيام القليلة التالية تعمل في الأعمال المكتبية التي طال هجرانها... لقد كانت حياته العملية في فوضى معقدة، وتعجبت كارن كيف استطاع تدبير الأمور طوال هذه المدة، بوجود كل هذه الرسائل دون رد، وهذه الفواتير غير المدفوعة، دون ذكر الأموال التي

www.elromancia.com

لـه على النـاس. في الـوقت الـذي كـان فيـه يعمـل في الأرض، والحيوانات، وإصلاح جدران الأسـوار، والأشجار، هجـر كل شيء آخـر. ولكن كارن بـالتـدريـج رتبت المكتب وأنهت كـل الأعمـال الضرورية. أجابت على الرسائل، وطبعتها وأرسلتها بالبريد، وأرسلت الفواتير لتحصيلها، ودفعت ما عليه من فواتير. ووضعت كل شيء في الملفات بترتيب، بحيث تستطيع وضع يدها عليها بسهولة وسرعة.

وكان روك يزورها معظم الأيام لسبب أو آخر. لقد كان على كل الأحوال صاحب الأرض، وحياتهما العملية كانت متشابكة أكثر مما اعتقدت كارن. ولم يكن يمكث طويلاً ابداً، ولم تكن وإياه ابداً على انفراد، فقد كان معهما إما والدها، أو مدبرة المنزل او والدة روك، مما جعل الأمر أسهل، وأصعب، على كارن على كلتا الحالتين. لقد كانت مرتاحة لعدم التوتر بوجود روك معها لـوحده، ولكن ذلـك لم يخفف ألم الرغبة التي كانت تشعر بها عندما تراه.

ولكنهـا لم تكن متفـائلة كثيراً حـول إخفـاءها مشـاعـرهـا عن روك فعيناه السريعتا الإدراك لم يكن يفوتهما شيء، والنظرات العرضية أو الابتسامة الساخرة أخبرتها أنها لم تكن تخدعه، ولكن روك كان دائماً حذراً في إبقاء مسافة بينها وبينه.

ومضى أسبوع دون سماع أي خبر عن كارلا وتشارلز. ومر الوقت بسرعة أكثر مما توقعت كارن، لأنها استطاعت أن تشغل نفسها عن التفكير بالعمـل الجاد. وأنهت عمـل سنوات من الأمـور المكتبية، وبدأت تساعـد والدهـا في أشياء أخـرى، في الطبـخ، وفي أعمال المزرعة. كان يوم العمل يبدأ باكراً، وكانت تأوي إلى الفراش باكراً، لتنام بسبب الإجهاد الجسدي عند العاشرة والنصف.

في أحد الأيام كانت مشغولة بتحضير عشاء والدها، عندما دخل روك دون أن يدق الباب، وخفق قلبها وهي تستدير لتراه. إنها المرة

الأولى التي تراه فيها منـذ يومين، وكـانت تحس بفراغ المنـزل من حولهما.

ـ أوه.. هذا أنت! ابي يتجول في الحقول. إذا كنت تريده تستطيع أن تلحق به..

ـ لا.. أنا أريدك أنت!

ـ اوه؟...

ـ لقد وصلنا خبر عنهما!

ـ ممن؟... أوه.. من تشارلز؟

ـ وكارلا... لقد وصلتنا رسالة هذا الصباح.

ونظرت كارن إلى قطعة اللحم التي كانت تقطعها، محاولة إخفاء الانزعاج الذي تشعر به لفكرة سماع أنباء عن الهاربين. ولم تكن تعلم كيف ستتدبر أمرها لو عرفت أنهما افترقا، أو لو أن تشارلز عاد، وعليها أن تواجهه، لقد تخلى عنها، وقد لا يجرؤ على الطلب منها أن تعود له، ولكنه إذا فعل، ستقول لـه «لا» عندهـا سيعتقد أن السبب هـو الغيرة. ولكن هل يهمها ماذا سيعتقد؟ وسألته بصوت أجش، عندما لم يقل لها فوراً ماذا تقول الرسالة.

ـ حسناً؟ ماذا يقول تشارلز؟ أين هو؟

ـ لقد تزوجا، وفي الأسبوع القادم سيسافران إلى استراليا.

وبـدا لها الأمـر قاسيـاً، وبدلاً من قـطع اللحم انـزلقت السكين فجرحت أصبعها، فصـرخت بحدة، ورمت السكين. وتـدفق الدم، ووضعت أصبعها في فمها، وتدفقت دموعها من الألم.

وأسرع اليها روك متسائلاً: «ماذا فعلتي؟» وأمسك بيدها وأجبرها أن تريه الجرح. وتمتمت «لا شيء!» وارتجفت للمسته، وحدق بها.

ـ ألهذا تبكين وترتجفين مثل الورقة على الشجرة؟ لأجل لا شيء؟

وعضت على شفتها وحاولت أن تستدير مبتعدة، ولكنه لم يتركها، وأمسك بذراعيها وهزها بعنف:

ـ ماذا هناك؟ ألا يجب أن أقول لك الحقيقة؟ لا.. أنت لا تريدين سماعها!

اليس كذلك؟ سوف تقضي على الخيال الزائف الذي تفضلينه في حياتك. ولكن هذا لا يفيد!

ـ لماذا تصرخ في وجهي؟ ليست غلطتي أن تهرب أختك مع تشارلز وتتزوجه!

ـ إنها غلطتك أن تبكي لأجله!

وضمها إليه، كانت مرهقة الأعصاب بحيث أنها لم تقاوم، وأغلقت عينيها وجسدها يرتاح عليه. وترك ذراعيها وأمسك بخصرها وقال:

ـ متى ستواجهين الحقيقة؟

وتأوهت كارن، ونظرت إليه بيأس «روك...».

ـ أنت لا تحبينه، ولم تحبيه ابداً.

وتنهدت وكأنها تعترف «لقد ظننت أنني احبه».

ـ ولكنك الآن تعرفين حقيقة مشاعرك.

ـ أنا لست من النوع الذي يرضى بعلاقة عابرة.. ولا أستطيع العبث مع أي كان، ثم أنسى فيما بعد!

ـ يا إلهي.. أنا سعيد لسماع هذا... ولا أنا..

ـ ولكن... انت... منذ أن التقينا كنت تغازلني، وتعبث معي.. مع أننا كنا غريبين تماماً عن بعضنا!

ـ ليس تماماً.. لقد عرفتك منذ ولدت إلى أن أصبحت في الثالثة عشر. وهذا لا يجعلك غريبة عني.

ـ ولكننا لم نلتق فيما بعد! كنت قد كبرت، ولا أظن أننا تبادلنا الكلام!

ـ لقد تعانقنا مرة...

ـ لقد قلت هذا من قبل... ولكنني لا أذكر.

ـ لقد أقمنا حفلة ميلاد في منزلنا، وحضر كل الأولاد في المقاطعة وكل أولاد المستأجرين، وأصدقاء كارلا من المدرسة، ولعبنا ما يحب أن يلعبه الأولاد...

ـ كنت أنا هناك أليس كذلك؟

ـ أوه لقد كنت هناك يا حلوتي، كنت ترتدين ثوباً جميلاً، من الأورغاندا الابيض، طويل وفضفاض، ويأقته مستديرة، وربطة مخملية خضراء على وسطك. وبدوت فاتنة. لقد بدوت فجأة وكأنك لم تعودي صغيرة. كان من الواضح أنك ستصبحين امرأة جميلة بعد وقت قصير.

وعادت كارن تتذكر حلمها، ولكنها لم تذكر الحفلة، وهذا غريب... واخذت تنظر إليه، وأعاد لها النظرات وهو يبحث في وجهها عن الذكرى التي يريدها. وتابع كلامه:

ـ إحدى الألعاب كانت «الغميضة».. ألا تذكرين؟ واختبأت في خزانة في الطابق العلوي، وبعد قليل فتح الباب و...

وارتعدت كارن، ووضع يده على وجهها وتابع:

ـ اجل.. لقد كنتي هناك، وجذبتك داخل الخزانة، وعانقتك...

كيف نسيت هذا الأمر طوال هذه المدة؟ هل كانت صدمة لها بحيث أمحت الذكرى بدلاً من مواجهة ما تعنيه؟

ـ ثم مر بنا جمع من الأطفال، فلحقتي بهم، وبقيت أنا في الخزانة. أشعر بالبلاهة. كنت تقريباً بضعف عمرك، كنت لا زلت طفلة، فتاة صغيرة في الثالثة عشر. وكنت أنا في العشرين! لم أدرك ما أصابني يومها ما عدا أنك كنت مختلفة تلك الليلة وجميلة، وكنت

www.elromancia.com

أنظر إليك طوال الحفلة.. ألا تذكرين؟.. هل أخفتك يومها؟

ـ لا... ولكن هذا حدث في اليوم التالي..

ـ ماذا حدث في اليوم التالي؟ لا أتذكر..

ـ لقد فجرت أمي كل غيرتها من أمك، كانت تكرهكم... وأنا...

ـ شعرتي بالذنب لأنك سمحت لواحد منا أن...

ـ لم أعد أذكر الحفلة ولا أنت.. ولكنني أتذكر الآن. ربما ذلك عائد إلى أنني كنت خائفة أن تعرف ما حدث، لكانت كرهتني أنا أيضاً! وخاصة...

ـ وخاصة ماذا؟ خاصة أنك أحببت ما فعلته معك؟

واطرقت، وهي تبتسم، ولم ترد. لقد اعترفت بالكثير حتى الآن..

ـ أتساءل ما إذا كان هذا هو دافعك لأن تكوني قاسية على كل عائلتي، وخاصة أنا. لم تكن أمك وحدها التي دفعتك للظن بأننا عائلة مغوية وعابثة. لقد ساعدت أنا في إعطائك هذا الانطباع.

وضحك، ثم تابع «لقد كنت عدو نفسي دون أن أدرك!». وقالت كارن ببعض الحزن «ربما!.. لقد كنا جميعاً أسوأ أعداء لانفسنا، ألم نكن هكذا؟».

لماذا كانت تحلم بتلك الحفلة؟ أليس لأن عقلها الباطن كان يحاول أن يقول لها ما تشعر به حقيقة حول روك؟ حلمت بأنها طفلة، وفي وضعها العاطفي كانت لا تزال طفلة، ولهذا ركزّت على تشارلز كشريك لحياتها لأنه لم يقترب منها أو يلمسها، في أعمق جزء من عواطفها. كانت معجبة بتشارلز وأحبته، ولكنها لم تحبه الحب الحقيقي أبداً، بنفس القوة التي تشعر فيها بحب روك، لقد اختارت تشارلز لأنه مسالم ولن يؤذيها أبداً.

وقال روك بجفاف:

ـ على الأقل أنا لم أنسكِ؟ وبقيت أذكر ما حدث سنة بعد سنة. لن أقول إن هذا سبب عدم زواجي، ولكنني أعتقد أنني في اعماق فكري كان لديّ ذلك التصور لفتاة كنت أحلم بها.. ولم أجد من يماثلها.. ولا واحدة لها هذا الشعر الأحمر، أو العينين الخضراوين الساحرتين!

وانقطعت أنفاسها، وهمس لها «أحبك يا كارن!» وصمت.

وصدمت كارن وهي تقاوم آخر معركة لها مع الخوف وعدم الثقة، ثم همست له «وأنا أحبك».

وتنفس الصعداء «آه...» وتهلل وجهه بالانتصار، ثم فتح عينيه ونظر إليها بشغف، جعل الدم يرقص في شرايينها.

وضمها إليه، وارتمت عليه... بكل الرغبة التي كانت تخفيها عنه منذ زمن، وهي تعرف الآن أنها ليست بحاجة إلى إخفائها ثانية...

النهاية